

د. حسن كاظم الحسيني العاملي

هود الجزيرة العربية

مسار العلاقات الإسلامية اليهودية في عهد النبي ﷺ
قراءة متأنية في الفكر الإسلامي السياسي

دار الهادي

يهود الجزيرة العربية

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م



هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ ـ ٠٣/٨٩٦٣٢٩ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

يهود الجزيرة العربية

مسار العلاقات الإسلامية اليهودية في عهد النبي ﷺ

قراءة متأنية في الفكر الإسلامي السياسي

الدكتور

حسن كاظم الحسيني العاملي




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعتبر الأحداث التاريخية المتنوعة ذات الصلة باليهود، من المسائل والقضايا التي تشغل فكر الأمة وتستحوذ على الجزء الأكبر من اهتماماتها وطاقاتها، وهي ليست في الأصل عودة إلى الماضي بقدر ما هي استشراف للمستقبل، ولاسيما في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من الصراع العربي الإسرائيلي. فمن يتصدى لها يكون متصدياً لإشكاليات حساسة لكنها مهمشة من حيث المكان والزمان. وإن كشف النقاب عن زيف الادعاءات اليهودية ذات النزعة والميول العنصرية، لهو أمر بالغ الأهمية والحساسية بالنسبة لنا في صراعنا المصيري مع بقايا بني إسرائيل.

لقد كانت الجزيرة العربية محط أنظار وموضع اهتمام الباحثين في الثقافات العربية المعاصرة إذ إنها تساعد على إيضاح كثير من جوانب الغموض التي تكتنف الأحداث قبيل ظهور الدعوة الإسلامية. حيث رافق هذا الغموض المتعمد سعي لطمس المعالم الحضارية العربية، ولا يفوتني الإشارة إلى ما يعتري هذا العمل من صعوبات تنوء بالتفاصيل المرهقة لكثرة من تناولها من كتّاب وباحثين ينتمون إلى مشارب متعددة واتجاهات مختلفة، وميول متنوعة.

إن بلورة تصور معرفي بغية الإلمام الدقيق بخصائص المرحلة واستشراف آفاق حراكها واستهدافاتها عمل دؤوب يتطلب أفقاً واسعاً وصدراً منشرحاً واستلهاماً للعقل وتوظيفه في استخلاص الحقائق. والوصول إلى مقاربة موضوعية تسعفنا في تسليط أضواء كاشفة على تدخلات متشعبة في التشكيل الاجتماعي والسياسي لشبه الجزيرة العربية في تلك الحقبة التاريخية الهامة، تندرج في ظل سياقات حضارية متمايزة.

إن انصراف الباحث إلى إبراز الحقيقة نقية من كل كدر، مسؤولية كبرى تلقي بثقلها على عاتقه، وتفرض عليه نكران الذات والابتعاد عن تحركات المشاعر التي تعصف به والهواجس التي تنتابه وتثقل حركته، وتذليل الصعاب وترويضها لخدمة الحقيقة المعرفية، نعم.. إن هذا هو غاية الباحث البصير، والمتتبع الخبير واستراتيجيتهم الفضلى.

لم يشكل وجود الجاليات اليهودية في يثرب لحظة عابرة من تاريخ الجزيرة العربية بل مرحلة جديدة في مفهوم العلاقات في الحضارات المختلفة، والتي تحكم مسارها سمات يترتب عليها إسقاط جملة من المفاهيم السائدة. الأمر الذي يدفع باتجاه إرهاصات لكتابات قيمة تراعي شروط الموضوعية والموازين المعتبرة، بعيداً عن كافة أساليب التهويل والمبالغة والتعريض.

لقد أولى الباحثون والمؤرخون أهمية بالغة للأحداث التاريخية التي تعود إلى القرن التاسع ق.م لما لها من مدلولات خاصة إذ دأب

اليهود إلى إرجاع عهدهم لتلك الحقب الزمنية القديمة، التي لم يكن لهم فيها وجود البتة. وقد فقد التمييز بين عصر النبي إبراهيم ويعقوب (إسرائيل) وعصر النبي موسى (اليهود)!! وهي فترة طويلة تزيد على ٦٠٠ عام خصوصاً أن التوراة التي كتبها اليهود في الأسر البابلي بعد ٨٠٠ عام من عهد موسى عليه السلام. تشكل المصدر الأساس الذي يعتمد عليه كثير من الباحثين والمحللين.

لقد عاش النبي إبراهيم عليه السلام في الجزيرة العربية في مجتمع عربي عرفت قبائله بالبائدة أو العرب العاربة. إذ نبَّه القرآن الكريم لذلك بربط صلة إبراهيم الخليل ببلاد الحجاز والبيت العتيق (الجزيرة العربية) بينما كانت أرض كنعان (فلسطين) هي محل إقامتهم لكن موطنهم الأصلي حاران (حران حالياً) حيث تعيش القبائل الآرامية التي ينتمون إليها[1].

بينما يبدأ عصر النبي موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر ق.م حيث عاش في مصر، ثم خروجه منها إلى أرض كنعان، وقد استمرت هذه الفترة حتى القرن السادس ق.م (السبي البابلي) أما عصر اليهود فهو عصر قائم بذاته من حيث اللغة العبرية والثقافة والديانة نفسها إذ شرع الكهنة ـ حسب زعمهم ـ بكتابة توراتهم في الأسر البابلي، وهي التوراة التي بين أيدينا وهي غير التوراة التي نزلت على النبي موسى عليه السلام ـ بالآرامية بعد انتشارها في الشرق الأدنى،

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ ص٣٠/٣١.

واللغة العبرية مقتبسة من الآرامية (العربية الأصل) شأنها في ذلك شأن بقية اللغات التي تكونت في وقت لاحق من اللغة الأم الأصلية[١].

و«قد أجمع العلماء الباحثون على أن اللغة السامية هي اللغة العربية القديمة»[٢].

مهما يكن من أمر، فقد حرص اليهود في تدوين تاريخهم على ربطه بالنبي إبراهيم الخليل عليه السلام وحفيده يعقوب (إسرائيل) وقسموا اتباع النبي موسى بني إسرائيل إلى جماعات على الرغم من كونهم ظهروا بعد إسرائيل بزهاء ٦٠٠ عام. وهم بالتالي يسوقون لفكرة طهارة العرق اليهودي بالرغم من كثرة الشوائب التي تطال هذا الادعاء، لأن يهود الخزر أي بلاد روسيا الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق هم من أصل تركي، وكذلك يهود أوروبا وأميركا ويهود العالم جميعاً هم على رأي التوراة نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل ٣٧٠٠ سنة. وهذا أمر شديد الغرابة بالطبع[٣].

والأغرب من ذلك اعتبار فلسطين وطنهم الأصلي على الرغم من تأكيد التوراة التي كتبوها بأيديهم أنها أرض غربة بالنسبة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) الذين ولدوا في حران ونشأوا فيها. وقد فرّق القرآن الكريم بين اليهود وبني إسرائيل. فاستخدم الأول في

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ ص٣٤/٣٥.

(٢) مجلة عالم المعرفة، اختلاق إسرائيل القديمة تأليف كيث وايتلام، ترجمة الدكتورة سحر الهنيدي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٩٩، ص٢٢.

(٣) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩.

موضع السخط والثاني في موضع الرضا[١]. ولنا ملاحظة على هذه الفقرة الأخيرة، فإن ذمه لبني إسرائيل وإظهار السخط عليهم، بيّن في القرآن الكريم لا مجال معه للشك والإنكار.

ومهما يكن من أمر فإنه لا بد من الإشارة إلى أن الكتاب الذي بين أيدينا يعالج العلاقات اليهودية الإسلامية في يثرب وجوارها منذ بداية الدعوة الإسلامية. ويسلط الضوء بشكل مقتضب حول الأصول التاريخية للنشأة اليهودية، بالإضافة إلى شرح عدد من المصطلحات التي يعرفون بها. ثم هو يبرز أهمية موقع يثرب الجغرافي كنقطة استراتيجية استقطبت الجاليات اليهودية وأهمها: بنو قينقاع - بنو النضير وبنو قريظة - والدوافع التي كانت وراء اختيار يثرب وجوارها لتمركز هذه البطون اليهودية بجانب القبائل العربية التي كانت تشكل، بالإضافة إلى الأوس والخزرج النواة الأساسية الديمغرافية للاجتماع اليثربي. والمهن التي مارسوها من زراعة وتجارة وبعض الصناعات الحرفية وغيرها.

ويشير إلى ما رافق ظهور الدعوة الإسلامية من إثارة المشاكل والعراقيل والمعوقات في وجهها من قبل اليهود وبعض الشخصيات العربية المتضررة من الدعوة الجديدة، على الرغم من محاولة النبي تخطي هذه المرحلة بشكل هادئ، باعتماده آلية تنظيم للعلاقات معهم من خلال وثيقة بل وثائق حددت دورهم ومنحتهم حرية التحرك وفق

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٣٠.

المنظور الإسلامي، وما تبع ذلك من تدهور أدى إلى الصدام المسلح فيما بعد.

وتنويراً للرأي العام الإسلامي والعربي، وبهدف معرفة الذهنية اليهودية التي تحكم مختلف القضايا في التعاطي المتبادل مع الآخر، وأهم السبل والآليات التي تعتمدها، اقتضى ذلك معالجة جانب هام من التراث الثقافي الوثيق الصلة بهويتنا السياسية والاجتماعية المعاصرة.

المنهج المعتمد في عملية التأريخ اليهودي:

من الطبيعي أن يكون موضوع البحث مثاراً لأمور علمية ضرورية، لأن قضية التأريخ لليهود من القضايا الصعبة والمهمة في الوقت ذاته، فمن عرف عدوه أمن شره وأحرز كفاية في تحطيمه. ومن هنا كان موضوعنا مصطدماً بجملة من الإشكاليات: كيف نؤرخ لليهود؟ وكيف نحرز ضبطاً لمسيرتهم في التاريخ؟ وما هي المصادر التي يمكن أن تكون أساساً لدراستنا؟ هل نعتمد على مصادرنا أم على مصادر الآخرين؟

إنها أسئلة تحمل أبعاداً كثيرة. وبالتالي يمكن أن نعتمد على طرق شتى في سبيل بناء تاريخ لليهود، يتباين في الكثير من الأمور، وذلك بسبب اختلاف وجهات النظر ولا ريب في كون التاريخ مبنياً في الغالب على التخمين، كما أن أسباباً كثيرة يمكن أن تجعل الصور التاريخية والاستنتاجات متباينة. فإن اختلفت المصادر والمناهج

اختلفت المبادئ وربما المراحل والمعلومات التاريخية، كما شاهدنا في الكثير من هذه الأحداث.

فهناك تأريخ لليهود مبني على ما جاء في التوراة، وآخر مبني على ما كتبه بعض المؤرخين من كتبة التاريخ العام والخاص، وثالث مبني على مصادرهم الخاصة، وهكذا تتسلسل وربما نشاهد في الأسواق وباللغات المختلفة صوراً كثيرة منها ليست خفية على الباحث والمتأمل في تاريخهم.

لكنني في هذه المرة سوف أعتمد على منهج مختلف، وسوف ادرس تسلسلاً تاريخياً مختلفاً، ولن أعتمد على مصادرهم مطلقاً إلا بناء على بعض المستلزمات الرابطة بين تاريخين أو حقبتين، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: عدم تعرض كتاباتهم للحقبة التاريخية التي أتناولها بالدراسة في الجزيرة العربية أو في يثرب ومناطقها. أو بالأحرى ليست عندنا من آثارهم العلمية ما يدل على حركتهم أو يؤرخ لها بشكل واضح أو مرن اللهم إلا إشارة أو ذكراً لبعض الجذور التي لا خلاف حولها.

ثانياً: رصد المصادر التي سنعتمد عليها لمختلف الحركات والسكنات اليهودية التي بدرت منهم في يثرب ومناطقها، حيث إن من شهد تلك المرحلة يمكن أن يقدمها وصفياً بنموذج أنجح اعتماداً على العيان والمشاهدة وما تم من نقل لهذه الموضوعات من قبلهم كتب وأرخ إما بشكل مباشر أو بطريقة الرواية.

ثالثاً: لقد أخذت هذه المرحلة من تاريخ يهود يثرب وضواحيها دوراً بارزاً في الاصطدام بالرسالة الإسلامية، بخلاف المسيحيين، مما كوَّن خلافاً كبيراً بين الجماعتين الإسلامية واليهودية، وقد جرت أحداث كثيرة بقيت خالدة في عقول المسلمين من انتصارات إلى تخطيطات كان لهم دور بارز في تحصيله أو إبداعه. وهذا ما يوجد عند مؤرخي العرب والمسلمين الكثير من المصادر والذكريات والأحداث التاريخية نقلت عبر الرواة أو حامت حولها القصص الحقيقية أو المنسوجة من وهم الخيال.

رابعاً: لا شك بأننا مسلمون، وعقيدتنا تدخل في مختلف الأمور، ولولا إيماننا وتصديقنا بهذه الرسالة لما اعتمدنا عليها أو سرنا على نسقها ومتطلباتها، أشارت إلى أمور أصبحت لزاماً علينا من ناحية التأييد والاعتماد وهناك رواة نثق بروايتهم ومؤرخون نعتمد عليهم ولا إشكال فيما رووه، سوف لن نهمل فيما كتبوه أو رووه لأنه يشكل جامعاً مهماً للتراث ومنهلاً ضرورياً لتلك الأحداث إذن اعتمادها بعض التمحيص والبحث والدراسة والتقليب من القضايا اللازمة، ومع تساهل أنها وجهة نظر أساسية والأولى والأهم للتأريخ أو للأحداث التاريخية المتعلقة باليهود وعلاقاتهم مع المسلمين في يثرب حيث تقل المصادر بل تنقرض سلبياً.

خامساً: ليس في يدنا ما يؤرخ لتلك الحقبة وأحداثها إلا المصادر العربية والإسلامية، ولئن كانت العقيدة لدى هؤلاء المؤرخين

أو الرواة إسلامية، فليس هذا مسوغاً لإلحاق الكذب بهم مع العلم أن هناك قواعد ومبادئ لكتابة التاريخ والبحث فيه.

سادساً: إن تلك الحقبة ترتبط بالتاريخ الإسلامي والعربي ومراحله الشاملة أكثر من ارتباطها بالتاريخ اليهودي، بل لا تشكل من التاريخ اليهودي أمراً مهماً لأنهم يرجعون أنفسهم إلى زمان ممتد أكثر في التاريخ. وإن كانت مهمة جداً بالنسبة لبحثنا أو لتاريخنا، حيث تظهر العلاقات والاصطدامات الأولى، التي كونت حقداً دفيناً وخططاً إلغائية للآخر. لذا أهملت في الكتابات التاريخية التابعة لهم أو انعدمت في مصادرهم إلى حد ما، وتوافرت في مصادرنا بل شكّل وجودها مساحة لا بأس بها في حركة الإسلام الأولى حيث كان يخط السطور الأولى في حركته ووجوده ورسالته. لذا كان منهجاً معتمداً على هذا الإطار. انطلاقاً مما تقدم سوف أعتمد في بناء هذا الكتاب على المصادر العربية والإسلامية التي أرخت لتلك الحقبة وسوف لا أرجع إلى مصادرهم إلا فيما كان له تماس مباشر أو صلة ارتباطية تواصلية مهمة لها دورها في بناء الدراسة التاريخية اليهودية. لذا فالحقيقة التاريخية التي تظهر حركة ومسيرة اليهود في يثرب تكاد تكون مبعثرة في كتب المؤرخين العرب والمسلمين، سوف نبحث فيها بإلمام وسعة وتتبع لمختلف ما جاء في تلك الحقبة وتلك الرقعة الجغرافية التي كانت مهد الدعوة الإسلامية.

الفصل الأول

إطلالة عامة
على تاريخ اليهود

أ ـ مراحل التاريخ اليهودي:

قسم المؤرخون اليهود التاريخ اليهودي إلى عهود متعددة على النحو التالي:

١ ـ **عصر الآباء**: والمقصود به عصر الأنبياء الأوائل، حيث كانوا يعيشون حياة البدو والرعي والتنقل، والخضوع لسلطة الأمم التي حلّوا فيها.

٢ ـ **عصر الخروج**: يمثل خروجهم من مصر على يد النبي موسى عليه السلام، بعد خضوعهم لحكم الفراعنة ٤٣٠ سنة، وكانوا أذلة ومستعبدين، لا حول لهم ولا قوة

٣ ـ **عهد القضاة**: ونعني به دخول اليهود إلى أرض الميعاد على يد يشوع بعد موت موسى عليه السلام، «فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم، واستراحت الأرض من الحرب»[١].

وكان حكام اليهود في هذه الفترة قضاة من الكهنة يفصلون في المنازعات، وقد استمر هذا العهد أربعة قرون[٢].

---

(١) التوراة، سفر يشوع ١١: ٢٣.

(٢) شلبي، أحمد، مقارنة الاديان اليهودية، القاهرة: ١٩٩٣م، ص٨١.

٤ ـ **عهد الملوك**: بعد انهيار حكم القضاة تولى حكم اليهود في فلسطين ملوكٌ أشداء استمر حكمهم ثمانين سنة تقريباً.

٥ ـ **عهد الانقسام والنهاية**: تعرض فيه اليهود للقتل والتشريد والسبي على يد أعدائهم البابليين والرومان وغيرهم. وسنعمد فيما يلي إلى تسليط الأضواء على المسار العام للتاريخ اليهودي، ممهدين لذلك بالتعريف عن منشأ المصطلحات الاسمية التي عرفوا بها تاريخياً.

ب ـ المصطلحات الاسمية التي عرف بها اليهود:

١ ـ **الصهيونية**: نسبة إلى صهيون، وهي رابية في أورشليم أقام عليها اليبوسيون أبناء عمومة الكنعانيين العرب حصناً قبل ظهور بني إسرائيل (قوم موسى) بحوالي ألفي عام. وتطلق هذه التسمية على منظمة يهودية أسسها يهود روسيا ومنهم وايزمن وبن غوريون، وصارت تسعى لاستعمار فلسطين كوطن قومي لليهود. وبدأت نشاطها المنظم بدعوى معاداة الشعوب السامية، وظهرت كمنظمة عالمية في نهاية القرن التاسع عشر[١].

وهي حركة فكرية سياسية متطرفة بذلت جهداً واسعاً لجمع كلمة اليهود حول إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. أسس هذه الحركة حديثاً وتزعمها يهودي كبير يدعى تيودور هرتزل نمساوي الجنسية، وعقدت مؤتمراً في مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧م وأهم ما صدر عنها: إن أماني الصهيونية هي إنشاء وطن للشعب اليهودي يعترف به،

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٥٧٥ ـ ٥٧٦.

من الناحيتين الرسمية والقانونية، ويصبح الشعب اليهودي بإنشائه في مأمن من الاضطهاد، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين[1].

والصهيونية (Zionism) نسبة إلى جبل صهيون الذي يقع في الجنوب من بيت المقدس، وقد اقتحمه داود إبان ملكه، واستولى عليه من اليبوسيين الذين كانوا يقطنونه. ومن هذا المنطلق تعتبر الصهيونية حركة ذات منشأ تاريخي تعمل منذ القدم على استقرار اليهود في جبل صهيون وما حوله، ومن هنا نخلص إلى القول إن الصهيوني هو الذي يؤثر العيش في فلسطين، أو جبل صهيون.

ويرى اليهود أن موسى عليه السلام هو أول قائد للصهيونية، لأنه سعى لإدخال اليهود إلى فلسطين أو جبل صهيون[2].

وصار هذا الجبل مكاناً مقدساً لأن الرب يسكن فيه «رنموا للرب الذي يسكن في صهيون»[3].

واستطاعت الحركة الصهيونية في بداية القرن العشرين أن تحصل من بريطانيا على وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م الذي ينص على مساعدتها في إقامة دولة لليهود في فلسطين، وفي أيار ١٩٤٨م سلمت بريطانيا فلسطين لليهود، وتحققت بذلك الأهداف الصهيونية.

واشتهر الصهاينة عبر التاريخ بأسماء ثلاثة وهي: العبرانيون، وبنو إسرائيل واليهود، أطلقت عليهم في فترات زمنية متلاحقة

---

(١) شلبي، مقارنة الاديان اليهودية، ص١٠٥.

(٢) شلبي، مقارنة الاديان، ج١ ص١٣٥.

(٣) التوراة، مزامير ٩: ١١.

ومختلفة، ولكل من هذه التسميات ميزاتها الخاصة بها، وحين يتداول الناس الحديث عن هذه الجماعة البشرية يطلقون أياً منها دون أي تفريق بينها، دون التماس حيثياتها ومعرفة جذورها وآفاقها، وبدورنا نلفت انتباه القارئ إلى منشأ هذه التسميات ومدلولاتها.

٢ ـ **العبرانيون**: إن كلمة عبري أو عبراني هي نفس كلمة إبري وهبيري وعبيرو التي وردت في المصادر المسمارية والفرعونية، ولا يمكن إطلاقها على اليهود لأنها وردت قبل اليهود بعدة قرون، في رسائل تل العمارنة التي تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد التي بعثها ملوك كنعان إلى أمنحوتب الثالث (١٤١٧ ـ ١٣٧٩ق.م) وهي بعيدة جداً عن ظهور اليهود، وقد أكد هذه الحقيقة درايفر، الخبير في اللغات السامية وهي أن كلمة عبري بمعنى يهود من صنع حاخامي فلسطين استعملوها في وقت متأخر في فلسطين[١] فالحقيقة التي لا يرقى إليها الشك هي أنّ أوّل من استخدم هذا الاصطلاح هو أمنحوتب الرابع (أخناتون) (١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق.م) الذي حاول صدّ هجمات العبيرو حيث كانت بلاد كنعان خاضعة للحكم الفرعوني. كانت تطلق على القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية وبادية الشام. وان ورود اسم إبراهيم الخليل بـ(العبراني) كما في التوراة إنما أريد به «العبيرو» القبائل البدوية العربية ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه. وهكذا يتضح

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٢٦ نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية، طبعة ١٩٦٥ ج١١ ص٣٧٩.

أن هذا المصطلح يعود إلى فترات زمنية بعيدة، وأن اليهود لم يظهروا إلى عالم الوجود إلا بعد عصر النبي موسى عليه السلام ولم يدونوا توراتهم إلا بعد زمن العبيرو بأكثر من ألفي سنة. لقد استخدموا اللغة الكنعانية بعد دخولهم إلى أرض كنعان لغة السكان الأصليين ثم اللغة الآرامية التي عم انتشارها الشرق الأدنى واشتقوا منها لغتهم الخاصة.

وهكذا يتضح أن عصر إبراهيم الخليل عصر عربي قائم بذاته، وليست له أي صلة باليهود[1]. وقد نبّه القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2].

وكلمة عبري لقب أطلقه الكنعانيون على النبي إبراهيم حين وفد إليهم نسبة إلى جده عابر، أو لأنه عبر نهر الفرات إلى بلادهم، ولذلك أصبح أبناء ذريته معروفين بالعبرانيين[3].

وكلمة عبري ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك انهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، دمشق ١٩٧٥، ص٢٥/٣٨٣.

(٢) قرآن كريم، سورة آل عمران، الآيات: ٦٥ ـ ٦٨.

(٣) شنودة، زكي، اليهود: نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم، مصر ١٩٧٤م، ص٤ ـ ٥ طنطاوي، محمد سعيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، البصرة ١٩٦٨م، ص٣.

مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وحاشيتها للبحث عن الماء والمرعى[(١)].

٣ ـ بنو إسرائيل: إن كلمة إسرائيل عربية كنعانية الأصل، إسرا معناها عبد، وإيل معناها الإله الواحد، أطلقتها التوراة على يعقوب «وظهر الله ليعقوب وقال له لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت»[(٢)].

وبنو إسرائيل الذين ورد ذكرهم في الأسفار وهم سكان منطقة «حاران»، حران حالياً، وطنهم الأصلي الذي ولدوا ونشأوا فيه. أما فلسطين فهي أرض غربتهم، أما أنهم وجدوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، أي نفس عهد إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب وأبنائه، فهو محض خيال، وهؤلاء كلهم كانوا يدينون بدين إبراهيم الخليل.

وهي أيضاً اسم لموضع في فلسطين وهي تسمية كنعانية، وردت في الكتابات المصرية التي ترجع إلى ما قبل عصر موسى عليه السلام كما أن أسماء إبرام (إبراهيم) ويعقوب ويوسف وردت في الكتابات المصرية وهي تعود إلى ما قبل عصر موسى وهي كنعانية أيضاً. وخلاصة القول إن النبي إبراهيم وإسحاق ويعقوب مغتربين بين الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين، أو وافدين إليها.

وانتهى الدور الذي عُرفت أو اشتُهرت فيه تسمية إسرائيل بعد أن هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر للانضمام إلى النبي يوسف على قول

---

(١) طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص٤.

(٢) التوراة، تكوين ٢٨.

التوراة والقرآن، ولم يعد لهذه الجماعة البشرية خصوصيات تتفرد بها، ولم يكن بمقدورها استحداث كيان خاص بها، يميزها عن غيرها، لجهة العادات والتقاليد واللغة وغير ذلك بل اندمجت وذابت في البيئة المصرية كلياً[(١)].

وإسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم، أبو الأسباط الاثني عشر الذين منهم يوسف عليه السلام، وقيل إسرائيل معناه عبد الله وصفوته من خلقه، إيل هو الله و(اسرى) هو العبد[(٢)].

ولم يعرف بهذا الاسم إلا بعد أن أنجب أولاده الاثني عشر، يعيشون حياة البدو، يرتحلون حيث وجد الماء والحيوان والمرعى[(٣)].

ويذكرون أن يعقوب صارع إنساناً فغلبه، ولم يبالِ بالإله، لذا فهو يستحق أن يسمى بعد هذه الحادثة «يسرائيل» ويسر بمعنى ساد أو غلب. وئيل أو ايل الإله القوي القاهر. وان ينادوا بأبناء إسرائيل: معنى القوة والقدرة واكتساب صفات الغلبة، ليتيسر لهم أن يعيشوا الحياة التي يريدون، فمن هنا جاءت التسمية بمعنى عنصري متعصب يعني الغلبة والقوة.

وخلع علماء اليهود معنى القداسة والتطهر والسلوك الديني منشأ تسمية يعقوب بإسرائيل، لأنه كان يتنقل في أرض كنعان ومنطقة سيناء، وفي أثناء الرحلة كان يتعبد بالليل. وهم أبناء يعقوب وذرياتهم

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٢٦/٢٧.

(٢) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين بيروت: دار المعرفة (د.ت) ج١ ص٢٨٠.

(٣) طعيمة، صابر، اليهود بين الدين والتاريخ، مصر ١٩٧٢م ص٧.

من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه، وسموا بذلك نسبة إلى أبيهم إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من أسرا بمعنى عبد أو صفوة، ومن ايل وهو الله. فيكون معنى الكلمة عبد الله أو صفوته.

ولعل إصرار الصهاينة على استخدام هذا المصطلح يندرج في سياق إسباغ هالة مقدسة عليهم، ومحاولة ذكية منهم لارتباطهم بتاريخ لم يكن لهم فيه قدم سابق، ولا ذكر طائل، بل هو مما نسجته مخيلتهم، وكاد هذا الخواء الممزوج بأساليب الخداع أن يتسرب إلى عالم الصيرورة.

٤ ـ **اليهود**: أما كلمة يهودي فقد درج أكثر الكتّاب والباحثين على الأخذ بالرأي القائل إنها منسوبة إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب، وهذا يخالف الواقع لأن اليهود لم يكونوا قد وجدوا في عهد يعقوب وابنه يهوذا، بل وجدوا بعد ظهور النبي موسى وجماعته وتسمية يهوذا كانت تطلق على إحدى المناطق الكنعانية في فلسطين منذ العهد الكنعاني القديم جرياً على العادة المتبعة بتسمية المدن والمناطق بأسماء الأشخاص من ذوي الشهرة والقدسيّة. تكونت مملكة يهوذا بعد أن نزحت جماعة النبي موسى إلى فلسطين بعد عصر يعقوب وابنه يهوذا بحوالي ألف عام. ثم انتشر استعمال اسم اليهود نسبة إلى مملكة يهوذا المفترضة على كل من يدين باليهودية. وأبرز دليل على ذلك أنَّ أول تسمية لليهود جاءت على لسان الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ق.م) إذ سمي ملك يهوذا «حزقيا» بـ«حزقيا اليهودي»[1].

---

(١) سوسة، احمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٨٩٥.

وهي تسمية أطلقت بشكل واسع على بقايا مملكة يهوذا الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس ق.م وقد اقتبس هؤلاء قبيل السبي لهجتهم العبرية المقتبسة من الآرامية وبها دونوا التوراة التي بين أيدينا في الأسر في بابل أي بعد زمن موسى بثمانمائة عام[١]. وهي توراة اليهود لتمييزها عن توراة موسى.

أيّاً يكن الأمر، يمكن اعتبارها في المحصلة دين انتسب إليها بعض بني إسرائيل في عصر موسى، من قوله: هاد الرجل أي رجع وتاب، ولزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: إنّا هدنا إليك ـ أي رجعنا ـ وتضرعنا، وهم أمة موسى[٢].

وبالتالي هم فئة مؤمنة تدين بوحدانية الله وفق تعاليم نبي الله موسى، وهي ليست ديانة خاصة ببني إسرائيل، بل اعتنقتها إثنيات بشرية متنوعة في مختلف البقاع، متعددة اللغات والثقافات من أعراق بشرية متباينة. من بلاد الجزيرة العربية وأوروبا وبلاد المغرب والحبشة وغيرها. واستمر المبشرون اليهود بدعوتهم إلى اعتناقها والانضواء تحت لوائها.

وقيل: أوصى النبي يعقوب قبل أن يموت أولاده جميعاً، بأن يسمعوا ويطيعوا لأخيهم يهوذا، وأن يكونوا تحت لوائه وقيادته، فمن أذعن ودان له بالولاء أطلقت لفظة يهود عليهم، وقسم آخر رفض أن

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ ص٢٨.
(٢) الشهرستاني الملل والنحل، تحقيق محمد كيلاني، بيروت دار صعب ١٩٨٦م، ج١ ص٢١٠.

ينضم لقيادته، أو الانتساب إليه، وبقي على ولائه الأسري، فكانوا يحافظون على التنادي بإسرائيل وأبناء إسرائيل[(١)].

وقيل سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة. وقيل إنهم سموا يهود نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب[(٢)].

ج ـ الادعاء النسبي الزائف:

يدعي اليهود أنهم ينتسبون إلى النبي إبراهيم بن تارح بن ناخور ابن سروج بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح. ولد قبل الميلاد بألفي عام في مدينة أور، إحدى المدن الكلدانية في بلاد ما بين النهرين، جنوب بابل في العراق.

قال بوبر: إن تعاليم الدين اليهودي أتت من سيناء، فهي تعاليم موسى، أما روح هذا الدين فهي أقدم من سيناء. هي الروح التي جاءت إلى سيناء، فتسلمت هناك ما تسلمته من شرائع. هي أقدم من موسى، هي روح إبراهيم ويعقوب[(٣)].

والنبي إبراهيم، تعود إليه الديانات التوحيدية السماوية، وكان أهل أور يعبدون الأوثان والكواكب والنجوم.

وبدأ أهلها باضطهاده بعد أن أصبح نبياً مخالفاً ديانتهم، فاضطروه إلى الانتقال مع ذويه إلى منطقة حران التي تعرف اليوم باسم سوريا، إلا

---

(١) طعيمة، اليهود بين الدين والتاريخ، ص٧٨/ ٧٩.

(٢) طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٨.

(٣) Buber, Martin, israel and the world, essays in a time of crisis, schocken books, new york 1948, p28.

انه اصطدم بالواقع نفسه (عبادة الأوثان) مما دفعه إلى الرحيل عنهم، مصطحباً زوجته سارة وابن أخيه لوط، ميمماً شطر أرض كنعان المعروفة اليوم بفلسطين، وهي تنتسب إلى كنعان بن حام، ويقطنها أغلبية أمورية، فيما كان الفينيقيون يحتلون الأراضي الساحلية، وتخضع الأراضي الشمالية لسيطرة الحثيين، وتخضع جنوب البلاد للفلسطينيين[١]. وكان عمره في ذلك الوقت خمساً وسبعين سنة[٢].

أصاب أرض كنعان قحط، أجدبت الأرض، مما دفع إبراهيم إلى الرحيل مع ذويه إلى مصر، التي كانت تخضع للهكسوس. وهم قوم من الأعراب، رعاة اجتاحوا مصر بسبب القحط في الجزيرة العربية[٣]. والجدير ذكره أنّ توراة اليهود تورد جملة من الافتراءات ينسبونها زيفاً إلى النبي إبراهيم عليه السلام ولجوئه إلى أساليب الخداع والختال للحصول على غنائم وخيرات لإشباع غرائزه، وهي أعمال لا يمكن أن تنسجم مع موقعه ودوره، ولا يقوم بها العقلاء من الناس، وعلى الرغم من ذلك نشير إليها غير موافقين على ما جاء فيها، إذ ساوره الشك هناك بأن يجذب جمال زوجته زعيم الهكسوس، فطلب منها أن تدعي بأنها أخته، لحماية نفسه، ولاتخاذها مطية للحصول على الثروة والمال قولي انك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك[٤].

وحصل بالفعل ما توقعه، ورحب به الهكسوس ترحيباً حاراً،

---

(١) شنودة، اليهود، نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم، ص٤.
(٢) التوراة، سفر التكوين ٤:١٢.
(٣) شلبي، مقارنة الأديان، ص١٦.
(٤) التوراة، سفر التكوين ١٣:١٢.

وأعجب ملكهم بجمال سارة، فأخذها إلى قصره، وأغدق على إبراهيم قطعان الغنم والعبيد، لكنه علم فيما بعد بحقيقة القضية، فأرسل نحوه وعنّفه، وأمره بالرحيل مع زوجته وحاشيته[١].

«لماذا لم تخبرني أنها امرأتك، لماذا قلت إنها أختك حتى أخذتها لكي تكون زوجتي والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيّعوه وامرأته وكل ما كان له»[٢].

وتذكر التوراة وعد الله لإبراهيم في وراثة أرض تمتد من النيل إلى الفرات، وهذا العهد يعوّل عليه اليهود كثيراً في أطماعهم التوسعية، ويعتبرونه هدفاً دينياً مستمراً «قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر حتى النهر الكبير نهر الفرات»[٣].

وأثناء وجوده في مصر أهديت إليه جارية مصرية لخدمة زوجته، وتدعى هاجر، وقد ولد إبراهيم بكره إسماعيل منها، وهو ابن ثمانين سنة. بعدما يئست زوجته سارة من الإنجاب، ولما صار عمر إسماعيل حوالي أربع عشرة سنة ولد لإبراهيم إسحاق من زوجته سارة. ولما ولد إسحاق أخذت الغيرة مأخذها عند سارة، فإنه بعد سنتين، وبينما كان إسماعيل يلاعب أخاه انتفضت سارة ـ بحسب التوراة ـ ضد الغلام وأمه، وتوجهت إلى إبراهيم قائلة «اطرد هذه الجارية وابنها، فانه لا ينبغي أن يرث ابن الجارية مع ولدي إسحاق».

---

(١) شنودة، اليهود، نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم، ص٥ وشلبي، مقارنة الاديان، ص٦٤.
(٢) التوراة، سفر التكوين ١٢: ١٨/ ٢٠.
(٣) التوراة، سفر التكوين ١٥: ١٨.

وقبح هذا العمل في عيني إبراهيم، وحاول ثنيها عن ذلك فلم يفلح، فاضطر أن يرسلهما إلى مكة المكرمة. وهناك ابتلاه الله تعالى بذبح ولده إسماعيل، ولما نجح في هذا الامتحان، افتداه بذبح عظيم كما تحدث القرآن الكريم.

والتوراة تنقل هذه الحادثة وتنسبها إلى إسحاق، بعد أن ذكرت أن الذبيح موصوف بأنه وحيد إبراهيم، وبعدما تحدث أيضاً عن ان إسماعيل هو الآخر ابنه، وانه مكرم عند الله وغير ذلك من أوصاف المدح والثناء، مما يدل دلالة واضحة وقاطعة على أن ذبيح التوراة أيضاً هو إسماعيل، وان اسم إسماعيل قد زيد فيها.

د ـ إرهاصات فكرة التمييز العنصري:

لقد نصت التوراة على أن الابن الأكبر كان له عدة خصائص يتميز بها عن سائر اخوته، ومن جملتها انه مكرس لله تعالى دون سائر اخوته، ومنها انه يأخذ سهمين من ارث أبيه مقابل سهم واحد لإخوته الآخرين. وهذا ما جعل اليهود يحقدون على إسماعيل ونسله، دون سائر أبناء إبراهيم الذين لم ينافسوه في حق البكورية، ذلك أن إبراهيم قد تزوج بعد وفاة سارة من سرية له اسمها «قطورة»! وولدت له ستة أولاد هم: زمران ومدان ومديان وشيباق وشوح ويقشان.

وقد استقر جميع أبناء إبراهيم في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية وأسسوا ممالك ودولاً، ونعموا بحياة الاستقرار والطمأنينة آماداً طويلة.

وأما إسحاق فقد ذهب إلى فدان آرام، وتزوج من ابنة خاله رفقة، وبعد مدة طويلة من الصبر والانتظار، ولدت له توأمين هما: عيسو ويعقوب. فكان حق البكورية لعيسو الذي ولد أولاً، وكان يحبه إسحاق بدوره. وأما يعقوب فقد كانت تحبه أمه رفقة، فاحتالت معه بعدما عمي أبوه في شيخوخته وانتزعت له حق البكورية من أخيه عيسو، بعدما خدعت إسحاق، فألبست يعقوب شعر ماعز لتوهم أباه انه عيسو، وصنع طعاماً وأطعم أباه وانتزع البركة منه بهذه الحيلة، وهكذا صارت سائر الحقوق ليعقوب، واصبح أخوه صاحب الحق الشرعي عبداً له[١].

مهما يكن من أمر، يجدر بنا أن نشير إلى نذر يسير من شططهم، وما اقترفته أيديهم من المعاصي والموبقات، على يد آبائهم وأجدادهم، لتشكل فيما بعد مبرراً لما سيقدمون عليه من طيش وتخبط. فنجد مثلاً أن رأوبين ـ وهو بكر يعقوب ـ قد اعتدى على فراش أبيه فزنى بزوجته، مما حرمه حق البكورية والبركة. كما أن يهوذا قد زنى بكنته ثامار فأولدها فارص وزارح[٢].

إلا أن هذه الحلقة النسبية ليست مبنية على التحقيق العلمي، وعلى أسس ثابتة ومتينة، لذا فقد تعرض الكثير من الباحثين لإنكار وإبطال هذه المزاعم، وعلى كل اعتمدنا على مصادرهم وعلى توراتهم رغم الزيف والتزوير الذي لحقها، ولا حاجة للدخول في هذا

---

(١) التوراة، سفر التكوين ٢٧: ١/ ٤.

(٢) التوراة، سفر التكوين ٣٨: ١٣/ ٢٦.

المطلب لعدم جدواه في دراستنا، أو وجوده في الكثير من المصادر الأخرى التي كتبت دحضاً لهذه المزاعم.

هـ - ارتكاب الموبقات:

فلم يسلم بنو إسرائيل من الرذائل والآثام وقد ولد ليعقوب اثنا عشر ولداً هم أسباط بني إسرائيل، وقد تآمروا على قتل أخيهم يوسف، ثم باعوه إلى أهل مصر(١) مما أدى إلى تشريدهم واستعبادهم عند أهل مصر طيلة قرون مديدة. وبلغ الاستعباد بالعبرانيين إلى عزلهم والتخلص من تكاثرهم الذي بدأ يهدد ديموغرافية الدولة، فاستشار الفرعون كهنته وحكماءه، فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور عند الولادة واستبقاء الإناث(٢).

وكان موسى من مواليد هذه الفترة، ولكن الله أنجاه من الموت. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾(٣).

وتربى موسى داخل قصر الفرعون، وأدرك انه فيما بعد من العبرانيين، ثم جمع شيوخ اليهود واتفقوا على الخروج، فرفض فرعون مصر طلبهم، لكنه ما لبث أن ضاق بهم ذرعاً، وأمر بطردهم

---

(١) التوراة، سفر التكوين ٣٧: ١٨/ ٣٣.

(٢) شلبي، مقارنة الأديان، ص٧١.

(٣) قرآن كريم سورة القصص، الآيتان: ٧ و٨.

فوراً، واخرجوا من بين شعبي أنتما (موسى وهارون) وبني إسرائيل جميعاً[١].

«فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس... طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا فلم يصنعوا لأنفسهم زاداً»[٢]. وقد أقاموا في مصر ٤٣٠ سنة[٣].

وكانوا «ستمائة ألف ماشين من الرجال خلا الأطفال»[٤]. ربما كان ذلك حوالي عام ١٢٢٤م، فاستطاع العبرانيون المتحدرون من ابراهام والمستعبدون، الفرار أثناء الفوضى العامة التي طغت على البلاد وولوا هاربين إلى صحراء سيناء، باحثين عن المرعى، مقتربين من مراعي أرض كنعان كلما وجدوا سبيلاً إلى ذلك[٥].

وفرض الفلسطينيون عليهم العبودية أربعين سنة «أسلمهم الرب إلى أيدي الفلسطينيين أربعين سنة»[٦].

إن أسفار التوراة حافلة بما يدل على أن اليهود يستحقون العذاب الإلهي والتشريد طيلة تاريخهم، حتى قال الرب لموسى وهارون اخرجا من هذه الجماعة حتى أفنيهم[٧].

---

(١) التوراة، الخروج ١٢: ٣٠/٣٤.
(٢) التوراة، الخروج ١٢: ٣٧/٣٩.
(٣) التوراة، الخروج ١٢: ٤٠/٤١.
(٤) التوراة، الخروج ١٢: ٣٧.
(٥) بيتي ايلين، أزيلوا إسرائيل من الوجود، بيروت: ١٩٥٧، ص٥٨/٥٩.
(٦) التوراة، سفر القضاة ١٣: ١.
(٧) التوراة، سفر العدد ١٦: ٢٠.

ومرة أخرى «قال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم»[١].

وفي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب، استولى الملك داود على بيت المقدس وهزم الفلسطينيين، وفتح أرض كنعان[٢].

إن المملكة الداودية استغلت الفراغ السياسي لتقيم إمبراطورية في فلسطين وسوريا لمدة حوالي ٧٠ عاماً في بداية القرن العاشر قبل الميلاد[٣].

وتعزو بعض المصادر إلى أن إنجازات داود سببها وجود فراغ في ميزان القوى في المنطقة في تلك الفترة[٤]. وأقام دولة مستقلة وبلغ حكمه أربعين سنة، وخلفه ابنه سليمان، وانهارت المملكة بعد وفاته سنة ٩٢٧ قبل الميلاد[٥].

وتعرض اليهود للاستعباد والسبي على يد البابليين والرومان لقرون طويلة، ابتداءً من ٥٨٦ق.م ولم يجتمع شملهم في كيان منذ ذلك الوقت[٦].

وقد وصل الحال إلى أن توجه عزرا إلى الله تعالى زمن السبي

---

(١) التوراة، سفر العدد ١٤ : ١١.
(٢) ايلين، بيتي، أزيلوا إسرائيل من الوجود، ص٦٠/ ٦١.
(٣) Soggin, J.A A History of Israel. London: p 42 - 44
(٤) Ahlstron, G.W the History of Anacin Palestine, Sheffield: p 454 - 487.
(٥) ايلين، أزيلوا إسرائيل من الوجود، ص٦٠/ ٦١.
(٦) ايلين، أزيلوا إسرائيل من الوجود، ص٦٢/ ٦٧.

البابلي، مبيناً حقيقة اليهود، بقوله: «اللهم إني اخجل وأخزى من أن أرفع الهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء، منذ أيام آبائنا نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأراضي للسيف والسبي والنهب وخزي الوجوه كهذا اليوم»[١].

والظاهر أن هذا المصير القاتم قد جاء تنفيذاً لما وعدهم به موسى قبل موته بقوله: «انهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم»[٢].

و ـ استنتاجات هادفة:

نستخلص مما تقدم عدة أمور أهمها:

١ ـ ترى التوراة أن الوعد الإلهي لإبراهيم كان عبارة عن وراثة الأرض ولكنه وعد مشروط بتقوى الله والالتزام بتعاليمه وأحكامه، ومن خالف أوامر الله تعالى يكون مصيره الطرد والتشريد في أقطار الأرض.

٢ ـ إن اليهود منذ فجر تاريخهم قد ارتكبوا كافة أنواع الذنوب والموبقات، فكان مصيرهم التشتت وعدم الاستقرار والثبات في أرض طبقاً لوعد التوراة.

٣ ـ إن سائر أولاد إبراهيم وكذلك أبناء عيسو قد استقروا في

---

(١) التوراة، سفر عزرا ٩: ٦/٧.

(٢) التوراة، سفر التثنية ٣٢: ٢٨/٣٠.

الأرض الموعودة وأصبحوا أمماً وممالك لها شأنها بين الأمم مما يكشف عن التزامهم أوامره تعالى دون بني إسرائيل ولذلك استقروا في الأرض دونهم.

٤ ـ إن بني إسرائيل رأوا انهم أبناء سارة السيدة وأما الآخرون فهم أبناء الجواري، فحاولوا تحريف قوانين التوراة علها تثبت لهم حقوقاً دون غيرهم من أبناء إبراهيم، لذا يعتبرون انهم أحق من غيرهم بسائر الفضائل، ولو كان ذلك عن طريق الخداع والحيلة، مما خلق في أنفسهم عقدة الدونية مع الإحساس بالاستعلاء والعظمة، مما جعلهم يعيشون في حالة عزلة وكيد وعداء لسائر الأمم والشعوب.

٥ ـ حاولوا سرقة تراث الشعوب ونسبته إلى أنفسهم، لعلهم بذلك يعوّضون بعضاً مما يرونه حقاً لهم، وعلى ذلك شواهد تاريخية جمّة.

على كل حال، ثمة نقطة مهمة لا بدّ من الإتيان على ذكرها، ومنها: أن اليهود ليسوا عرقاً نقياً كما يدعون، بل هم خليط من أمم وشعوب تهودت عبر التاريخ، فمنهم العرب: فقد ذكر اليعقوبي أن بني النضير وبني قريظة كانوا عرباً من بني جذام تهودوا وسكنوا في ضواحي المدينة المنورة، إضافة إلى الحميريين، ومنهم الخزر والأوروبيون وغيرهم[1].

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٥٩٥.

ز ـ الفرق الدينية اليهودية القديمة:

أهم الفرق اليهودية: ينقسم اليهود إلى فرق وجماعات دينية كثيرة ومتعددة نسلط الضوء على أكثر هذه الفرق شهرة ونشاطاً، بصورة مقتضبة تشير إلى مرتكزاتها والأسس التي تقوم عليها:

١ ـ الفريسيون: من الفرق اليهودية المعرفة، ومعناها المنعزلون. وهي تسمية أطلقها عليهم أعداؤهم ويعتقدون في البعث، وقيامة الأموات، والملائكة، والعالم الآخر. يعيشون في مظهر الزهد والتصوف، فلا يتزوجون، ويحافظون على وجودهم بطريق التبني.

ويعتقدون ان التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة، وإنما هناك وصايا وشروح وتفاسير تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل ودونوها خوفاً عليها من الضياع. وتعرف بالتلمود[1] وان الحاخامات

---

(١) التلمود معناه: كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم وقد وضعه حاخامات اليهود شروحاً وتفاسير للتوراة، جمعها حاخام يدعى يوخاس حوالي سنة ١٥٠٠ م ثم زيد عليها فكون من هذا المجموع كتاب التلمود الذي يقدسه اليهود حالياً ونسلط الضوء بدورنا على بعض ما جاء فيه: تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح، بأنها جزء من الله وهي عزيزة عند الله لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات. ولا يدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين. ويجب على كل يهودي ان يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض، لتبقى السلطة لليهود وحدهم. إن قتل المسيحي من الأمور الواجب تنفيذها وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي به وان الواجب الديني ان يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني. ويسوع موجود في الجحيم وأمه مريم أتت به من العسكري باندارا بالزنا منه أما الواعظون في الكنائس المسيحية فهم أشبه بالكلاب النابحة. اليهودي لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة، وله الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات. ويجوز لليهودي أن يحلف يميناً كاذباً وخاصة في معاملته مع باقي الشعوب. الشيرازي، المرجع السيد محمد، هؤلاء اليهود، بيروت: مؤسسة الوفاء ١٩٨٤ ص٣٧ ـ ٤٦.

معصومون وأقوالهم صادرة عن الله، ويؤمنون بالمسيح الذي يجيء ليعيد ملكوت الله[١].

٢ ـ **الصدوقيون**: تسمية من صنع أعدائهم أيضاً، وهي من نوع التسمية المضادة، لأنهم عرفوا بالإنكار: فلا يعتقدون بالبعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج عنه الخير، والعمل السيئ يسبب لصاحبه المتاعب والأزمات، وينكرون تعاليم التلمود، ولا يرون أن التوراة مقدسة مطلقاً، وينكرون وجود الملائكة والشياطين، ويميلون لاحترام القوانين وقبول الأمر الواقع[٢].

٣ ـ **القراؤون**: لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً، وبالتالي لا يعترفون بالتلمود. نمت هذه الفرقة على حساب الفريسيين بعد أن تدهور شأنهم، فورثوا اتباعهم ونفوذهم. وتقول هذه الفرقة بالاجتهاد في كافة الأمور الدينية[٣].

ح ـ التقسيم الحديث للطوائف اليهودية:

١ ـ **الأشكناز**: تنتسب طائفة الأشكناز إلى اليهود الألمان أو الذين ينحدرون من أصل ألماني، عاشوا في القرون الوسطى، وقد حافظوا إلى عهد قريب على لغتهم «الياديش» (Viadish) أدخلت عليها بعض المفردات العبرية والأجنبية وأنتجوا بها أدباً شعبياً ودينياً في بولونيا وروسيا.

---

(١) شلبي، مقارنة الاديان، ج١ ص٢٢٧/٢٢٨.
(٢) م. ن. ص٢٣٠/٢٣١.
(٣) م. ن. ص٢٣١/٢٣٢.

أشكناز معناها بالعبرية «ألمانيا»! كانت تطلق في أوائل القرون الوسطى على يهود ألمانيا، إلا أنها أصبحت تطلق فيما بعد على يهود أوروبا[١].

٢ ـ **السفارديون**: طائفة اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية بعد فتح المسلمين لها سنة ٧١١ م واتخذوا اللغة الإسبانية وتمسكوا بها واعتبروها لغتهم التقليدية، كانوا يتظاهرون بالمسيحية وهم يقومون بالعبادات والطقوس الدينية اليهودية سراً. ثم عادوا إلى اليهودية بعد خروجهم من إسبانيا، وقد هاجروا إلى شمال إفريقيا وجنوب أوروبا وإلى أماكن أخرى من العالم. وتعرف اللغة الإسبانية التي يتكلمونها باللادينو (Ladino). وقد أصبح المفهوم اليوم من كلمة إشكنازيين اليهود الغربيين الذين هاجروا إلى فلسطين من أوروبا وأميركا.

أما المفهوم من كلمة سفارديين باتت تعني اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى فلسطين بعد قيام دولة إسرائيل من بلدان الشرق الوسط وشمال إفريقيا.

وهناك تمييز واضح بين الطائفتين، فالأشكنازيون المسيطرون في إسرائيل اليوم ينظرون إلى اليهود الشرقيين نظرة استهانة واستخفاف لتفوقهم عليهم في المستوى الثقافي والاجتماعي[٢].

---

(١) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ج٢، ص٥٦١.

(٢) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ج٢، ص٥٦١ ـ ٥٦٢.

ط ـ لغة اليهود:

أخذ اليهود الآرامية بعد انتشارها في الشرق، فصاروا يتكلمون بها فيما بينهم، وفي غضون ذلك تكونت لدى كهنتهم اللهجة الآرامية الخاصة بهم، والتي صارت تعرف فيما بعد باللغة العبرية. وبعد السبي البابلي وضع الكهنة في الأسر توراتهم بهذه اللهجة المقتبسة من اللغة الآرامية، لذلك صارت تعرف بآرامية التوراة. ونحن نشير بدورنا إلى بعض ما تضمنته هذه التوراة التي نسجتها أيدي شذاذ الآفاق من اليهود أثناء سبيهم في بابل من افتراءات ورذائل وموبقات تنبو عنها الفطرة الإنسانية وتمجها العقول السليمة، تنسبها زوراً وبهتاناً لأنبياء الله والصادقين، نعوذ بالله من الزلل وخطل القول والعمل[١]. وهي غير لغة موسى المصرية التي نزلت فيها توراة موسى الأصلية[٢].

واقتصرت العبرية على كتب التوراة وحدها فأضفوا عليها القدسية وفرضوها على أتباعهم في عهد عزرا كاتب شريعة إله السماء كما جاء في التوراة[٣]. لقد كان اليهود يتكلمون الآرامية فيما بينهم، ويتداولون لغة الأقطار التي استقروا فيها والدليل على ذلك هو أن ما بقي من يهود العراق الذين استوطنوا المناطق الجبلية في شمال العراق

---

(١) لا يتورع اليهود في إلحاق تهمة الزنا بالنساء على يد النبي داود (الإصحاح الحادي عشر) وان النبي لوط زنا مع بناته كما جاء في (التكوين) الإصحاح التاسع والعشرون.

(٢) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٥٣٨/٥٣٩.

(٣) التوراة، عزرا، ٧: ٢١.

يتكلمون باللهجة الآرامية وليس بالعبرية(١). إذ كانوا في بابل وحتى بعد عودتهم إلى أورشليم يتكلمون اللغة الآرامية وقد اقتصرت العبرية على الكتب الدينية وعلى الكتب المقدسة(٢).

---

(١) W. J. Fischel (The Jews of Kurdistan a Hundred years ago). N.Y 1944 p. 205 - 215 - 216.

(٢) Hitti. P.K. (History of syria) London 1951 P: 22.

الفصل الثاني

يثرب
وتحولاتها السياسية

١ ـ الموقع الجغرافي:

تقع يثرب التي عرفت فيما بعد باسم المدينة المنورة في شبه الجزيرة العربية في الجزء الغربي منها.

وهي قائمة بين حرتين: حرة واقم في الشرق حيث اتخذ اليهود منها حصوناً لهم حين الهجرة إليها وتسمى قريظة نسبة إلى يهود قريظة، وحرة الوابرة في الغرب. أما حدودها الداخلية، أو ما يرتبط بها عن قرب: يحدها شمالاً جبل سلع وجبل أحد، وهو أشهر جبال المدينة وأهمها وعنده جرت معركة أحد الشهيرة. ويحدها من الجهة الجنوبية الغربية جبل عسير. ومن الشرق الحرة الشرقية (قريظة) ووادي العقيق من الغرب[١].

وتقع المدينة في واحة خصبة بين جبلين: جبل أحد من الشمال، وجبل عسير من الجنوب، ترتفع عن مستوى سطح البحر نحو ٥٩٧ متراً، والمسافة بينها وبين مكة ٤٩٧ كيلو متراً[٢].

---

(١) المدني، عبد العزيز، التاريخ الامين لمدينة سيد المرسلين، السعودية: ١٤١٨هـ ص٢٢٠.
(٢) رغدا، يوسف، معالم مكة والمدينة بين الماضي والحاضر، بيروت: ١٩٩٧م ص٢٦١.

أما حدودها الخارجية فهي: الأردن من الشمال، وعسير من الجنوب، ونجد من الشرق، والبحر الأحمر من الغرب. وهي تقرب من ميناءين بحريين: ميناء ينبع وميناء رابغ. وتبلغ مساحتها حوالي ١٩ ميلاً طولاً و١٧ ميلاً عرضاً[١].

وهي تعتبر من أهم مدن المملكة العربية السعودية حديثاً، نظراً لأهميتها على مختلف الأصعدة الدينية والسياسية والاجتماعية وهي حرة سبخة الأرض كثيرة المياه والشجر والدوحات، وأقرب الجبال إليها جبل أحد، ويقع شمال يثرب[٢].

والى الشرق من يثرب يقع بقيع الفرقد، والى الجنوب منها تقع قرية قباء التي تبعد عنها حوالي الميلين مما يلي القبلة، والى الجنوب منها تقع قرية القرع على الطرق المؤدية إلى مكة. ووادي العقيق من أخصب مناطق يثرب، ويبعد عنها من جهة الغرب نحو ثلاثة أميال[٣].

وفيها حرة واقم إلى الجهة الشرقية، من اشهر حرات العرب، وتربتها من أخصب بقاع يثرب يسكنها بطون من الأوس: بنو عبد الأشهل وبنو ظفر، وبنو معاوية مع قبائل من يهود بني قريظة[٤]. وللمدينة قرى وتوابع تحيط بها من كل ناحية، وأهمها:

---

(١) مدني، عبد العزيز، التاريخ الامين لمدينة سيد المرسلين ص٢١.
(٢) الحموي، معجم البلدان، مادة يثرب ج٥، لبنان: ١٣٨٨هـ.ق، ص٨٢.
(٣) الحموي، معجم البلدان، ج٥ ص١٣٩.
(٤) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢ص ٢٨٩.

زهرة التي تعتبر من اعظم قرى يثرب، بين حرة واقم والسافلة، وكان يسكنها بنو النضير[١].

وخيبر تقع في شمالها، وهي قرية قديمة جداً، تربتها خصبة، لوفرة مياهها من العيون والآبار، تشتهر بزراعة النخيل، وهي عبارة عن عدة حصون وقلاع، يسكنها اليهود وحدهم[٢].

وقرية بدر التي جرت فيها المعركة الكبرى بين المسلمين والمشركين. وقرية فدك في شمالها وهي على مسير يومين أو ثلاث منها، وهي من قرى خيبر، يسكنها اليهود، وهي ذات شجر ونخيل. وقرية الربذة في شرقها. وهي على ثلاث أميال منها، وفيها توفي الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، عندما نفاه عثمان بن عفان[٣].

٢ ـ تسميتها:

اختلف حول تسمية مدينة يثرب، منذ زمن بعيد، ويذكر بعض المؤرخين أن التسمية الشهيرة لها، وهي الأرجح والأصح تعود إلى يثرب بن قانية بن مهلهل بن ارم بن عبيل بن عوص، وعبيل أخو عاد، وعوص بن ارم بن سام بن نوح، وهو أول من نفر لها عندما تفرقت ذرية نوح[٤].

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢ ص٣٢٠.
(٢) المدني، عبد العزيز، التاريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين. . .، ص٤١.
(٣) م. ن ص٤٤/٥٢.
(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١ ص٢٨٦.

ويذكر آخرون أن التسمية تعود إلى رئيس العماليق، بعد أن أخرج منها عبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح[١].

لقد ورد اسم يثرب في جغرافية بطليموس، فذكرت مرة باسم lathrippe ومرة باسم lathrippa وذكرها اصطفيانوس البيزنطي باسم lathrippa polis[٢].

أما اسم مدينة الرسول أو المدينة المنورة، فقد عرفت به بعد هجرة النبي إليها، وربما أطلقت تسمية المدينة قبل ظهور الإسلام على لسان اليهود المتأثرين بالثقافة الآرامية، أو بعض المتهودين من بني ارم الذين نزلوا يثرب فدعوها مدينتنا[٣].

وقد اشتهرت باسم المدينة المنورة بعد هجرة النبي ﷺ إليها، ودورها المميز في نشر الدين الإسلامي، ويكاد هذا الاسم يدمغها حصرياً ولا تعرف إلاّ به في هذه الأيام.

وذكر السمهودي أن لها ٩٤ اسماً عرفت بهم[٤] وأسماؤها الكثيرة تدل على عظيم شرفها، وأهمها طيبة[٥].

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: للمدينة عشرة أسماء هي: طيبة، الباقية، الموفية، المسكينة، المباركة، المحرقة، العذراء،

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج١ ص٤٢.
(٢) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٣، لبنان: ١٣٨٠هـ.ق، ص٣٩٥، وج٤ ص١٨١.
(٣) م.ن، ج٤، ص١٨١.
(٤) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص٨/٢٧.
(٥) م.ن، ص١٧.

المسلمة، المقدسة، الشافية، المرزوقة. وتراب المدينة وهواؤها أطيب ريحاً من رائحة الأفاويه بسائر البلدان، هي أرفع الأرض كلها، ولا يدخلها طاعون، وقال: غبار المدينة دواء من الجذام، وقال: حب أهل المدينة محنة، فإن منافقاً لا يحبهم، ومؤمناً لا يبغضهم[١].

ونهى النبي ﷺ أن يقال للمدينة المنورة يثرب[٢].

وأشار القرآن الكريم إلى اسم يثرب في سورة الأحزاب، عندما ذكر تعرض المنافقين لها: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾[٣]. وأما ما يمكن اعتباره من المآخذ حول اعتمادنا على مصطلح نهى رسول الله ﷺ عنه (يثرب)، فإنّ ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً، لأن هذا المعنى ظلّ سائداً فترة زمنية ليست قصيرة.

٣ ـ أهميتها الزراعية:

تعتبر يثرب من المدن التي يعتمد سكانها على الزراعة في معيشتهم نظراً لعدة عوامل، وكما سماها رسول الله طيبة في كل نواحيها، بمياهها العذبة، ومناخها اللطيف، إذ أن معظم الرياح الموسمية والرطوبة القادمة من البحر الأحمر تهب عليها، والرياح

---

(١) ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، بيروت: ١٩٨٨، ص٢٦/ ٢٧.

(٢) ابن شبة، عمر بن شبة البصري، تاريخ المدينة المنورة، حققه فهيم شلتوت، بيروت: ١٩٩٠، ص١٦٥.

(٣) قرآن كريم، سورة الاحزاب، الآيتان: ١٢ و١٣.

الشمالية الشديدة البرودة القادمة من الشام تصطدم بها. مما جعل مناخها يتميز بشدة الحرارة والبرودة.

وللمدينة مركز تجاري هام حيث إنها تقع على مفترق طرق برية بين اليمن والشام[١].

وهي ذات طبيعة برية، تطغى عليها الجبال، وأهمها جبلان: أحد وعسير. وأهلها المهاجرون والأنصار والتابعون، وبها قبائل عرب من قيس بن عيلان، من مزينة وجهينة وكنانة وغيرهم، ولها أربعة أودية، يأتي ماؤها في وقت الأمطار والسيول من جبال يقال لها حرة بني سليم، على مقدار عشرة فراسخ من المدينة. وهي وادي بطحان والعقيق ووادي قناة، فمياه هذه الأودية تأتي في وقت السيول، ثم تجتمع كلها بموضع يقال له الغابة. وفيها آبار يسقى منها النخل والمزارع.

وفي المدينة عيون نابعة منها: عين الصورين، وعين صنية مروان، وعين الخانقين، وأكثر أموال أهلها النخل، ومنها معاشهم وأقواتهم. والبحر الأحمر منها على ثلاثة أيام، وساحلها ترسو إليه مراكب التجار، والمراكب التي تحمل الطعام من مصر[٢].

هذه المميزات الطبيعية، من التربة الخصبة والمناخ اللطيف ووفرة المياه من الآبار والعيون وأمطار السيول، كل ذلك جعلها منطقة زراعية بامتياز، اشتهرت بتنوع محاصيلها وجودتها، وأهمها: زراعة النخيل وهي عدة أصناف، أجودها وأغلاها تمر العجوة. ومن أصناف

---

(١) المدني، التاريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين، ص٢١.

(٢) اليعقوبي، كتاب البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ص٧٦/ ٧٧.

التمر المشهور عند أهل المدينة: الحلوة ـ وتمر الروثانة ـ والسكرية ـ والسويدية ـ والسيحاني. وتوجد في المدينة محاصيل زراعية أخرى كالموجودة في ما بين قرى الحجاز، كزراعة النعناع، الورد، العطرة، الرمان، البطيخ، والخضراوات وبعض الفواكه والحبوب[١].

وهكذا سلطنا الضوء على أهمية المدينة، وموقعها الجغرافي وتسميتها ومحاصيلها الزراعية وأهميتها التجارية، كونها المعنية بدراستنا، ولا بد من إيلاء أهمية كبيرة للناحية الديموغرافية التي تتشكل منها يثرب وجوارها، وخصوصاً البطون العربية وأهمها الأنصار (الأوس ـ والخزرج)، بالإضافة إلى البطون اليهودية وأشهرهم: بنو قينقاع، بنو قريظة، بنو النضير، بالإضافة إلى بطون أخرى من اليهود ينتشرون في جوارها كيهود فدك وخيبر ووادي القرى.

مهما يكن من أمر، فلا يمكن التغافل عن دور يثرب المميز في نشر الدعوة الإسلامية وحمايتها، وفي الدفاع عن صاحب الرسالة، ونصرته في كل الصعاب التي واجهته حتى أطلقت على قبائلها بسبب ذلك اسم الأنصار.

٤ ـ سكان يثرب:

لم تكن يثرب أرضاً خالية من السكان منذ القرون البائدة، فنظراً لموقعها الجذاب ومناخها اللطيف، وموقعها الاستراتيجي، وميزاتها المختلفة والمتنوعة، أضحت مقصداً لمختلف السكان منذ القدم فأمّها

(١) المدني، التاريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين، ص٤٠.

العديد من السكان والقبائل، حيث اتخذوا منها حاضرة تجمعهم وتحتضنهم، لذا فقد أقام فيها العديد من الأقوام والقبائل والأسر التي تنوعت في أصولها ومبادئها وتقاليدها ومعتقداتها، فكانت على النحو التالي:

أ ـ عبيل وصعل وفالج:

تذكر المصادر التاريخية أن أول من سكن يثرب في غابر الزمان، منذ طوفان نوح عليه السلام قوم يقال لهم صعل وفالج، وان نبي الله داود عليه السلام غزاهم وأخذ منهم أسرى وهلك أكثرهم وقبورهم بناحية الجرف. وأكدت بعض الروايات التاريخية أن أول من سكنها قوم عبيل، ويثرب اسم لابن عبيل، ثم خرجوا منها فنزلوا الجحفة، وبعد ذلك سكنها يثرب بن مهلائيل بن ارم بن عبيل الذي يعود نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام[١].

ويذكر الطبري أن عبيل أول قوم عرب سكنوا يثرب[٢].

ب ـ العماليق:

بعد سكن عبيل وصعل وفالج، جاءها العماليق واستقروا بها، وهم اولاد عمليق بن لاود بن سام بن نوح عليه السلام[٣].

والعماليق هم عرب يقال لهم العرب العارية[٤].

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٥٦/١٥٨ وابن خلدون، بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧١م، ج٢ص٢٨٦.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج١ ص٢٠٨.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦١.

(٤) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج١ ص٢٠٨.

والعماليق هم أول من زرعوا بالمدينة، واتخذوا بها النخل، وعمروا بها الدور والاطام واتخذوا بها الضياع.

والعماليق هم بنو عملاق بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، فانتشروا في البلاد، واخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز والشام ومصر، وكان سكان المدينة منهم بنو هف وبنو مطرويل، وكان ملكهم بالحجاز الأرقم بن الأرقم[1]. ينزل ما بين تيماء وفدك، ملأوا المدينة بنشاطهم، لهم بها نخل وزرع.

وكان موسى بن عمران عليه السلام بعث الجنود إلى الجبابرة يغزوهم، وتوجهوا إلى العماليق، وأمرهم بأن يقتلوهم جميعاً، وتمكنوا من ذلك، إلا انهم تركوا لابن الأرقم ولداً حياً لحسن وجهه، ثم جاؤوا قومهم، فوجدوا موسى عليه السلام قد فارق الحياة، واعترضوا على فعلتهم هذه، وأجابوهم بما لا يرضيهم، فلا تدخلوا علينا الشام أبداً بسبب عصيانكم الأوامر بالإبقاء عليه، فقدموا المدينة واتخذوا بها الاطام[2].

ج - اليهود:

اختلفت المصادر والروايات التاريخية حول الأسباب التي دفعت اليهود للنزول بالمدينة أو في يثرب، وتركزت حول سببين هامين:

الأول: ديني، يتمثل في أخبار التوراة بصفة بلد، وسط أرض العرب سوف يظهر فيها نبي، يكون خاتم الأنبياء.

---

(١) الاصفهاني، الاغاني، بيروت دار إحياء التراث العربي ١٩٩٤، ج٢٢ ص٣٤٣/ ٣٤٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص١٥٧.

والثاني: سياسي، يتمثل في الغزو والملاحقة والاضطهاد الذي تعرضوا له عبر التاريخ. ويذكر البعض أن تواجد اليهود في اليمن يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، ولقد نجحوا في تحويل قبائل جنوب الجزيرة العربية إلى اليهودية[١].

ولما حج النبي موسى عليه السلام حج معه أناس كثيرون من بني إسرائيل فلما انصرفوا، أتوا إلى المدينة واستوطنوا بها، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع[٢].

ويذكر ابن خلدون بأن سبب مجيئهم إلى يثرب هو فرارهم من الغزو الروماني على بلاد الشام، وما ارتكبوه بحقهم من قتل وتشريد وسبي، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين إلى الحجاز، فنزل بنو النضير مما يلي البهجان، وبنو قريظة وبنو بهدل على نهر وزكان[٣].

وتتبع الروم بني إسرائيل في بلاد الشام قتلاً وتشريداً وطرداً، وغصبوا نساءهم، ففروا على وجوههم في أصقاع الأرض، وعلى أثر هذه الملاحقة خرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين منهم إلى من بالحجاز من بني إسرائيل، لما غلبتهم الروم على بلاد الشام، ثم بعث ملك الروم في طلبهم، فأعجزهم، وتقدموا إلى يثرب، والتمسوا مكاناً يناسبهم، فأتوا العالية، وهي بطحان.

---

(١) scheschtman J.B., on wings of eagles, New York 1960, p34.

(٢) م.ن.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، ج٢ ص٢٨٧.

لقد تعرض اليهود إلى السبي البابلي على يد نبوخذ نصر[1] سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، وتعرضوا لغزو روماني متواصل عبر فترات زمنية متلاحقة، أثناء إقامتهم في بلاد الشام. لقد دمر الملك الروماني اسياسيانوس بن طيطوس في السنة الثانية من حكمه مملكة أورشليم، وخرب هيكلها وقتل الآلاف من اليهود، ولاحق خلفه إيليا أذريانوس اليهود في كافة أنحاء بلاد الشام، وتعقبهم في جبل يهودا والجليل، وخرب أورشليم، وقتل منهم مقتلة عظيمة[2].

إن استخدام العنف تجاه اليهود بهذا الشكل، مرجعه قيام اليهود بالتحريض وإثارة الفوضى في وجه الحكم الروماني لبلاد الشام سنة ٧٠م، فأقدم الإمبراطور طيطس على طردهم من فلسطين، وهدم معبدهم في أورشليم، وعلى اثر ذلك فرت جموع كثيرة من اليهود إلى جزيرة العرب، فاستوطنوا اخصب مدنها، يثرب وخيبر ووادي القرى وتيماء[3]. وامتزجوا بأهل البلاد الأصليين[4].

---

(١) نبوخذ نصر: أشهر ملوك الدولة الكلدانية، دام حكمه ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥ و٥٦٢ ق.م قضاها في توسيع مملكته، والاهتمام ببناء عاصمته بابل. خاض معارك حاسمة ضد النفوذ المصري. أشهر حملاته على يهوذا في سنة ٥٩٧ ق.م ثم في سنة ٥٨٦ ق.م.
قضى على مملكة يهوذا وسبى اليهود إلى بلاد بابل. وجّه حملته الأولى سنة ٥٩٧ ق.م فاستولى على أورشليم وسبى اليهود إلى بابل ومعهم الملك «يهوياكين» وأهل بيته. وهو السبي الأول. وفي سنة ٥٨٦ ق.م جاء بنفسه على رأس حملة فأضل أورشليم وخربها وأحرق بيوتها. وبلغ عدد الأسرى الذين سيقوا إلى بابل ـ ٥٠٠ ألف. وبعد وفاته خلفه على العرش ملوك ضعاف حتى وقعت بابل لقمة سائغة للملك الفارس كورش الذي سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين، فعاد البعض وآثر آخرون البقاء. سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ. ص: ١٤٨/١٤٩.

(٢) المسعودي، التنبيه والاشراف، حققه عبد الله الصاوي القاهرة ص١١١.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص١٧٨، الأصفهاني، الاغاني ج٢ ص٣٤٣.

(٤) Ben - Zivi, I., the exilled and the redeemed, London 1958, P.12.

كل هذه الروايات تشير إلى أن موطنهم الأصلي بلاد الشام واضطروا للأسباب السالفة الذكر النزول في الجزيرة العربية، غير أن بعض المؤرخين لهم رأي مغاير ونظرة مختلفة تماماً لما ورد حول هذه المسالة. واستندوا في ذلك إلى التوراة العبرية إذ قالوا: إن اليهودية لم تولد في فلسطين، بل في غرب الجزيرة العربية.

وإن مسار تاريخ بني إسرائيل يعود إليها، وليس إلى أي مكان آخر، فالانتشار المبكر لليهودية من موطنها الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين، وبقاع أخرى من الشمال، اتبع مسار القوافل التجارية العابرة إلى شبه الجزيرة العربية، وفي العالم القديم، كان إقليم عسير في غرب الجزيرة العربية مكان لقاء القوافل المحملة بتجارة بلاد حوض المحيط الهندي الآتية من اتجاه، والقوافل المحملة بتجارة فارس وبلاد حوض شرق المتوسط والعراق من اتجاه آخر.

إن المستوطنين اليهود الأوائل هناك، كانوا من تجار غرب شبه الجزيرة العربية، ومن رجال القوافل العاملين في تلك التجارة، ولم يكن لهؤلاء المستوطنين أن يخفقوا في اجتذاب المهتدين المحليين إلى دينهم[١].

إن عدم توفر سبل التدوين في تلك الفترة الزمنية السحيقة، حال دون إيضاح حقيقة الأمر، وحتى لا تبقى طي الكتمان، لابد من بذل الجهد في سبر أغوارها ومن خلال هذا المنظور، تعددت الآراء

---

(١) كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ص٣١/ ٣٢.

واختلفت الاتجاهات في النظرة إليه، فجنح الكثير إلى الاعتماد على البحث والتحري والاستقراء التاريخي.

وعلى كل حال، لا يمكن استبعاد الرأي القائل بأن الشعوب العديدة اعتنقت اليهودية في ديارها، ولم تكن في أي وقت من سكان اليهودية، وربما لاشتهار دعاتها، وتمكنهم من التبشير على أرضية قابلة وعطشى للإيمان الفطري، فانتشر الدين بين أمم متباعدة مثل سكان اليمن والحبشة والجزيرة العربية، إلى جانب عناصر دخلت اليهودية عن طريق الزواج[١].

د ـ يهود اليمن

وبناء على المعطيات المتوافرة نزل اليهود في جنوب الجزيرة العربية، وفي مختلف أرجائها، ويعود تواجدهم في اليمن إلى مشاريع سليمان عليه السلام في بداية القرن العاشر قبل الميلاد، وأصبح لهم نفوذ كبير حتى استطاعوا تحويل قبائلها إلى اليهودية[٢].

ولعل هذا التواجد المبكر في اليمن، وما هي عليه من تشابه مع أرض يثرب زراعياً، وكونها تمثل منطقة جذب سكاني في تلك الفترة، استقرت فيها البطون اليهودية، وهذا رأي يقارب الحقيقة، لأنهم وجدوا في يثرب القبائل العربية التي كانوا قد تعايشوا معها في اليمن، مدركين عنهم الكثير من المعطيات والحيثيات المشجعة للاستقرار في تلك الرقعة الجغرافية.

---

(١) مفرج طوني، موسوعة المجتمعات، ج١ص٦٠.

(٢) Shechtman, J.B., on Wing of Eagles, New York 1960, p34.

هـ ـ يهود الحجاز

ومن خلال ما تقدم، وفي المحصلة نزلت القبائل اليهودية بلاد الحجاز، وكانت إذ ذاك أشجر بلاد الله وأظهرها ماءً[١]. على أنها صفة البلد التي سيظهر فيها النبي الموعود، وكانوا بذلك يرجون أن يلقوا محمداً، فابتنوا الاطام والمنازل، فنزل بنو النضير بناحية الغرس، وتمتد إلى ناحية الصافية، أما بنو قينقاع، فأقاموا عند منتهى الجسر بطحان مما يلي العالية، وكانوا هناك في سوق من أسواق المدينة، وهم رهط عبد الله بن سلام، ونزلت قريظة بمذينيب ومهزور[٢].

ومهزور: وهما واديان من حرة على قلاع أرض عذبة، بها مياه عذبة تنبت حر الشجر. فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان، وكانت لهم ابل نواعم، فاتخذوها أموالاً، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور[٣].

ويقول اليعقوبي انهم نزلوا بجبل في المدينة يقال له قريظة، فنسبوا إليه[٤].

وأشهر البطون اليهودية التي نزلت بيثرب قبل أن ينزلها الأوس والخزرج من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة وثعلبة ومحمر، وزعورا وقينقاع وزيد والنضير وقريظة وهدل وعوف[٥].

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٥٩.
(٢) م، ن ج١ ص١٦٠ ـ ١٦٣.
(٣) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٢ ص٣٤٤.
(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج٢ص٥٢.
(٥) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٢، ص٣٤٣/ ٣٤٤.

غير أن أكبر القبائل اليهودية في يثرب هي ثلاث: بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع، وبجوارهم أقامت بطون يهودية صغيرة، وتأثروا بجيرانهم العرب، فانقسموا إلى قبائل وبطون، واتخذوا أسماء عربية، وكانوا يتكلمون بالعربية، تتداخل فيها رطانة عبرية(١).

لقد كانت منازل بني النضير بناحية الغرس وما والاها، ومقبرة بني خطمة(٢).

وقال ابن كثير: كانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها، شرقيها(٣).

وذكر السمهودي: والظاهر انهم كانوا بالنواعم، وبعض منازلهم كانت بجفاف، لأنها فاضجة به ورأيت بالحرة في شرقي النواعم آثار حصون، وقرية بقرب مذينيب يظهر أنها من جملة منازلهم(٤).

والأظهر أن منازلهم في شرق مسجد الشمس بالعوالي، أي بالقرب من الماجشونية، لقول ابن شبة في سيل بطحان: انه يصب في جفاف ويمر فيه حتى يفضي إلى فضاء بني خطمة والاغرس(٥).

مهما يكن من أمر، لابد من الإشارة إلى أن سيطرة اليهود أو الذين اعتنقوا اليهودية، على شمال الحجاز، قابله سيطرة قريش على

---

(١) ولفنسون، إسرائيل، ص٢٠.
(٢) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢١٣.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٣١.
(٤) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٦٣.
(٥) م، ن ج٣ ص٨٧٣.

جنوبه عند بدء الدعوة الإسلامية، فامتد نفوذ اليهود من يثرب حتى تيماء في أقصى حدود الحجاز الشمالية.

أما توزيعهم الجغرافي في تلك المنطقة يشمل: بنو قريظة في ضاحية يثرب من جهة الجنوب الشرقي، وبنو النضير في ضاحية يثرب من جهة الغرب، أما أعظم تجمع لليهود، فكان خيبر في شمال الحجاز، في المنطقة الواقعة بين يثرب وتيماء[١].

و ـ التبشير الديني في الجزيرة العربية:

بدأت مرحلة التبشير الديني لليهود تترى على يد الكهنة في الأسر البابلي، ونجح المبشرون اليهود بفضل حماسهم وسحر أسلوبهم في جذب العديد من الشعوب التي انضوت تحت المظلة اليهودية التي استمرت تمارس عاداتها وتقاليدها السابقة، فاعتنقت اليهودية أمم متباعدة الأوطان مثل سكان اليمن والحبشة والجزيرة العربية وأوساط أوروبا وبلاد المغرب... الخ، هذا إلى جانب العناصر التي دخلتها عن طريق الزواج[٢].

لقد تواصل اليهود والعرب عبر الأزمنة في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية، حيث تم إثبات وجود اليهود في شمال الجزيرة العربية من خلال تواجد قبور اليهود في أماكن تاريخية في منتصف الطريق ما بين المدينة وفلسطين. يرجع تاريخ هذه القبور إلى فترة ما

---

(١) مفرج، موسوعة المجتمعات الدينية، ج١، ص١٧٢.

(٢) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ص٥٥٢.

قبل وبعد تدمير المعبد الثاني، لا بد أنه كانت للاستيطان أهمية خاصة في القانون اليهودي[1].

وأصبحت اليمن في جنوب الجزيرة العربية من أهم مراكز الدعوة إليها، ويعود ذلك إلى القرن الخامس الميلادي على يد أحد ملوك حمير ويدعى «تبان سعد أبو كرب» ففي غزوته ليثرب جاءه حبران من أحبار اليهود فأعجب بما وصفاه له فاصطحبهما معه لليمن فدعا قومه للدخول فيما دخل فيه فأجابوه، وأجبر الملك الحميري ذي نواس في أوائل القرن السادس للميلاد المسيحيين على اعتناق اليهودية[2].

فالقبائل العربية التي تهوّدت بقيت على قوميتها وعاداتها وتقاليدها ولم يكن بينها وبين مجاوريها من العرب أي شيء غير الدين. فبنو النضير فخذ من جذام إلا انهم تهودوا وكذلك بنو قريظة - أخوة بني النضير - تهودوا في أيام عاديا السموأل. وفي المحصلة نجد أنّ يهود الجزيرة العربية هم من القبائل العربية التي اعتنقت اليهودية وبدأت تشكل مستوطنات في جوار يثرب، يمتهن بعضهم الزراعة ويمارس البعض الآخر صناعة الحدادة والمجوهرات[3].

وجاهد المبشرون اليهود والنصارى وبذلوا جهوداً جبارة في

---

(١) Goitein, S.D jews and arabs: New York, 1955, P 47.

(٢) دروزة، محمد عزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، مصر: مطبعة النهضة دون تاريخ الطبع ص٣٢٦.

(٣) سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، ج٢ ص٥٥٣.

سبيل تنسيق وتهويد القبائل العربية قبل انطلاق الدعوة الإسلامية، لأنهم وجدوا في شبه الجزيرة العربية الأرضية الصالحة لتقبل فكرة التوحيد، وكانت مهيأة نفسياً فاشتد النشاط التبشيري، ونجح المبشرون المسيحيون في تنصير بعض القبائل كما استطاع الأحبار من تهويد البعض الآخر.

وخلاصة القول: إن بعض القبائل في شبه الجزيرة العربية من جملة الذين اعتنقوا اليهودية والنصرانية، وحافظوا على عاداتهم وتقاليدهم ولم يفرق بينهم وبين غيرهم من البطون العربية سوى الدين.

ز ـ العرب: الأوس والخزرج

لقد أقام في المدينة بطون من العرب قبل بني إسرائيل منهم: بنو الحرمان حي من اليمن، وبنو شظية حي من غسان. ولما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب، وهم عرب الأزد، فنزلت بطون غسان منهم في أرض الشام، ونزل الأوس والخزرج في يثرب، وعاشوا فيها في جهد وضيق في المعاش، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع، والسيطرة المالية لليهود في يثرب[١].

كان يسكن يثرب قبل قدوم الأوس والخزرج إليها، قبائل اليهود، الذين أصبحت لهم الغلبة بعد انتصارهم على قوم العماليق،

(١) الاصفهاني، الاغاني، ج٢٢ ص٣٤٤/ ٣٤٥.

فلما كان سيل العرم، خرجت القبائل العربية اليمنية باتجاه الشمال إلى الشام والعراق والحجاز، ونزلت بطون الأوس والخزرج، في جوار بعضهم بالضاحية، وبعضهم بالقرى مع أهلها، ولم يكونوا أهل نعم، لأن المدينة لم تكن بلاد مرعى، ولا نخل لهم ولا زرع الا الأعذاق اليسيرة[١].

وتفرقوا في عاليتها وسافلتها، ومنهم من نزل مع قوم من بني إسرائيل في قراهم، ومنهم من نزل وحده، وكانت الثروة مع اليهود، وكانوا نيفاً على عشرين قبيلة، ولهم قرى اعدوا بها الآطام، فنزلت الأوس والخزرج بينهم وحواليهم.

أقامت الأوس والخزرج بالمدينة، ووجدوا الأموال والاطام والنخيل في أيدي اليهود، ووجدوا العدد والقوة معهم، ويشير أرنولد إلى تقارب إقامة اليهود مع العرب في يثرب، ويحدد مجيئهم إليها على اثر الكارثة القومية التي حلت باليهود على يد أدريان hadrian وهم من الأوس والخزرج من قبائل العرب. وفي ذلك الوقت أيضاً وصلت إلى يثرب طائفة من البدو والمهاجرين، وسمح لهم بالاقامة في رقعة من تلك المنطقة، ثم اخذوا يزدادون حتى استطاعوا آخر الأمر أن ينقلوا زمام الحكم كله إلى أيديهم في نهاية القرن الخامس الميلادي[٢]. وكانوا قد اتفقوا فيما بينهم على عقد الحلف والجوار،

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، ج٢ ص٢٨٧.

(٢) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن ابراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين القاهرة:١٩٥٧، ص٤٢.

كي يأمن به بعضهم من بعضهم، ويمتنعون به ممن سواهم، فتعاقدوا وتحالفوا فيما بينهم، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً، وصار للأوس والخزرج مال وعدد.

فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم، فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم، وكانت قريظة والنضير أعد وأكثر، وكان يقال لهم الكاهنان[١] ولما نقض اليهود الحلف، تعرضوا للعرب وألحقوا بهم الأذى، فاستعانوا بعرب الشام من الغساسنة، بعد إخبارهم بضيق معاشهم وغلبة الأمر عليهم، وكان وفد الأوس والخزرج إلى الشام بزعامة مالك بن عجلان الذي عظم شأنه بينهم.

وقدم أبو جبيلة الغساني لنصرة الأوس والخزرج، ولقيه أبناء قيلة وأخبروه أن اليهود علموا بقصده، فتحصنوا في آطامهم، فورى عن قصده باليمن، وخرجوا إليه فدعاهم إلى صنيع أعده لرؤسائهم، ثم غدر بهم، واستأصل شأفتهم، وأباد خضراءهم، وأنهى بذلك سيادتهم، وعزت الأوس والخزرج من يومئذ، وتفرقوا في عالية يثرب وسافلتها، أي في مختلف مناطقها، يتبوأون منها حيث شاؤوا[٢].

لقد سكن الأوس جنوب وشرق يثرب، وأما الخزرج فسكنوا في الشمال الغربي من يثرب، وجاوروا بني قينقاع اليهودية. وقد كان لهذا الجوار مفاعيله في تكوين الأحلاف في يثرب فيما بعد.

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٧٧/١٧٨.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص٢٨٦/٢٨٩.

ويعود أصل بطون الأوس والخزرج (الأنصار) إلى ولد ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. وأم الأنصار قيلة بنت عمرو بن جفنة، فاشتهرت الأنصار ببني قيلة نسبة إلى أمهم. فولد لثعلبة بن عمرو بن حارثة الأوس والخزرج وأمهما قيلة، فولد الأوس مالكاً، ومنه قبائل الأوس، وولد للخزرج خمس بنين[١].

واشهر بنو الأوس: مرة وثعلبة ولوزان، وبنو الظفر وبنو عبد الأشهل، وأما الخزرج فخمسة بطون من كعب وعمرو وعوف وجشم والحارث[٢].

ح ـ التبشير بقدوم النبي:

لم تكن فكرة ظهور نبي في الجزيرة العربية بالأمر المستهجن، بل كانت قديمة جداً، ولعل قدوم اليهود في غابر الزمان للسكن في تلك المنطقة مبني على هذا الظهور، وشاعت فكرة ظهور خاتم الأنبياء، على لسان كبار أحبار اليهود، وبدأوا يحدثون بصفاته ومميزات البلد الذي سيهاجر إليه، والحال هذه لم يكن استبعاد سكن اليهود القدامى في يثرب بالأمر الغريب[٣].

إلا أن اليهود رجوا وأملوا أن يكون من بني هارون. وقد أظهر عمرو بن سعد القرظي صفة رسول الله من التوراة، فقال لليهود،

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ص١٧٥/ ١٧٧.
(٢) ابن خلدون، تاريخه، ج٢ ص٢٨٨ والسمهودي، وفاء الوفاء ج١ ص١٧٦.
(٣) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٥٧/ ١٦٠.

تعالوا نتبع محمداً، والله إنكم لتعلمون انه نبي، قد بشرنا به وبأمره، وقد جاءانا ابن الهيبان أبو عمير وابن حراش، وهما اعلما اليهود، ينتظرون قدومه، وأمرانا باتباعه، جاءانا من بيت المقدس. وأمرانا أن نقرأه السلام، ثم ماتا على دينهما[١].

لقد خاطب سلام بن مشكم أحد كبار أحبار يهود بني النضير يعرض عليهم الإيمان بالنبي مؤكد ما ورد سابقاً، فقال: انه لرسول الله، وانه لآخر الأنبياء، كنتم تطمعون أن يكون من بني هارون، فجعله الله حيث يشاء.

وان كتبنا الذي درسنا في التوراة لم تتغير ولم تتبدل، إن مولده بمكة، ودار هجرته يثرب، وصفته بعينها لا تخالف حرفاً مما في كتابنا[٢].

بناء على المعطيات الواردة، المتمثلة بالنظرة الجليلة والمقدسة إلى أحبار اليهود، كونهم مصدر العلم والمعرفة لم يكن لها صدى كبير على صعيد المجتمع اليهودي، لقد كان الموقف صعباً جداً، فأبى الكثيرون التخلي عن كبريائهم، والشروع في التعامل الإيجابي مع هذا الظهور النوراني، الذي سيكون لحضوره القريب إلى يثرب نقطة تحول كبرى في تاريخ الجزيرة العربية.

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣ ص١٤٥/١٤٦ وابن هشام، السيرة النبوية، حققه مصطفى السقا ـ ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي ١٩٩٣ ج١ ص٢١٣/٢١٤.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٦٥/٣٦٦.

لقد كان هذا بمثابة الدافع لبعض الأنصار لاعتناق الإسلام، وإنذار اليهود برسول الله، بعد أن كانوا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكان اليهود أهل كتاب، واخبروا بتقارب زمان نبي يبعث، ولما جاءهم عرفوا ما كانوا يتوعدونهم به، فآمنوا به وكفر اليهود، فنزلت آيات من سورة البقرة بذلك[١]. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

ط ـ العلاقات السياسية والاقتصادية:

قبل الخوض في الحديث عن قدوم النبي إلى يثرب، لابد من تسليط الضوء على العلاقات القائمة بين مختلف القوى والفئات والإثنيات الدينية والاجتماعية المختلفة، وتبادل الخبرات فيما بينها على جميع الأصعدة، أم أنها بقيت على الحذر الدائم دون ان تنصهر في بوتقة واحدة، لتشكل فيما بعد اندماج ديموغرافي متجانس بين العرب واليهود. هذا التواصل بين البطون أفضى إلى اعتناق بعض البطون العربية الديانة اليهودية، كبني الحارث وبني كنانة وكعب وكندة[٣].

ويذكر بعض المؤرخين أن قبائل يهودية ذات أصول عربية، كقريظة والنضير، وهما فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا[٤].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٢١١/ ٢١٢.
(٢) قرآن كريم، سورة البقرة، الآية ٨٩.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٥٠٣.
(٤) اليعقوبي، تاريخه، دار صادر (د.ت) ج٢ ص٤٠/ ٤٢.

وكانت قبيلة بني ركاب المتهودة اقتبست الدين اليهودي من غير ان تندمج باليهود، فظل أفرادها محافظين على تقاليدهم العربية، حيث كانوا ينزلون في الصحراء الواقعة بين اليمن والعراق، وهم من عشائر تيماء[١].

الأمر الذي لا بد من الإشارة إليه، يتمثل في إلقاء نظرة سريعة على الانتشار المكاني إذا جاز التعبير لسكان اليهود والعرب، كي تتضح معالم العلاقات الحضارية التي كانت قائمة قبل الدعوة الإسلامية. كانت بطون الأوس والخزرج تسكن الشعاب، واليهود في شعاب خاصة بهم، وفي الشعاب حوائط وبساتين صغيرة، وآبار يستقون منها للشرب والغسيل، كما كانت فيها دور مبنية بالآجر ودور مبنية باللبن وبعضها ذو طابقين[٢]. وكان بنو النضير يسكنون في قرية خاصة بهم (زهرة) وهي من اكبر قرى يثرب[٣].

مهما يكن من أمر، بعد هذا التمهيد والمقاربة للوضع الديموغرافي اليثربي، نكف عنان الكلام إلى العلاقات التجارية المباشرة ذات الأثر الكبير في شد أواصر المعرفة وكسب الود وإقامة التحالفات المبنية في غالبيتها على المصالح المادية لكل فئة وطرف دون الاعتبارات الأخرى.

لقد دفعت حادثة سد مأرب، المعروفة بالتاريخ بسيل العرم،

---

(١) A. Asher, the iteresary of Ralli Benjamin of tudela, London 1840, p.148.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٤ ص١٣١

(٣) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٦١ العامري، بهجة المحافل ج١ ص٢١٤.

بطون الأوس والخزرج إلى مغادرة اليمن، قاصدين يثرب التي يقطنها اليهود. ورحب السكان بالقادمين الجدد ووثّقوا ذلك بعد حين بعقد حلف معهم، طامحين إلى الإفادة من خبراتهم في المجال الزراعي، نظراً لشهرتهم في هذا القطاع، ومع ما ليثرب من أهمية زراعية، فهي من أخصب أراضي الحجاز، فيها المياه والآبار والعيون.

ويعتبر النخل من أهم مزروعاتها، ويعتمد عليه السكان بشكل أساسي، في معيشتهم، بالإضافة إلى منتوجات زراعية أخرى كالقمح والشعير والكرمة والفواكه وغيرها[١] الأمر الذي سينعكس على جودة المحاصيل وزيادتها، وسيعود عليهم بمضاعفة أرباحهم وثرواتهم.

أما على صعيد النشاط التجاري، فقد اشتهرت يثرب بأسواقها، التي استمرت بعد ظهور الإسلام، وأهمها سوق قينقاع، وزبالة والجسر والصفاصف، وبعد قدوم النبي إليها، أنشأ سوق المدينة في بني ساعدة[٢].

ومن الطبيعي أن تزدهر يثرب بزيادة عدد سكانها، وارتفاع قوتها الشرائية، وهذا أمر في غاية الأهمية للبطون اليهودية الذائعة الصيت في هذا الحقل، وقد تميز يهود بني قينقاع بصناعة الحلي وأدوات الزينة والأسلحة، إذ غنم المسلمون بعد إجلائهم سلاحاً كثيراً وآلة للصياغة[٣].

---

(١) اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٨م ص٣١٣.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء ج٢ ص٧٤٧/٧٤٨.

(٣) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ) كتاب المغازي، ج١ مادوسن جونس، بيروت: مؤسسة الاعلامي١٩٦٦ ص١٧٨/١٧٩.

لقد سكنوا في سوق المدينة أي في وسطها. وعملوا في الصناعة والتجارة، وكانوا على تماس مع المسلمين، وأشدهم خطراً عليهم، لمعرفتهم بأحوالهم ونقاط ضعفهم[١].

ومن جهة أخرى، نشطت القوافل التجارية بين مكة ويثرب التي أصبحت محطة تجارية هامة لقريش، التي أقامت مع فعاليات المدينة من الأوس والخزرج واليهود صداقات هامة، مما اكسب الأطراف معرفة بعضهم عن قرب.

لقد أمسك اليهود بزمام المبادرة الاقتصادية، من خلال السيطرة على المرافق الحيوية الصناعية والتجارية، وأصبحوا القوى الفاعلة، بالإضافة إلى كونهم مصدر العلم والثقافة، فارتاد العرب محافلهم لسؤالهم عن مختلف القضايا الهامة. لهذا كان يهود يثرب محط أنظار قريش، لما اشتهروا به من رجاحة علومهم وثقافتهم.

ي ـ الأحلاف السياسية داخل يثرب:

عشية دخول الوفد النبوي المقدس إلى يثرب، لا بد من التعرف إلى القوى السياسية الموجودة في تلك المدينة، والتحالفات القائمة فيها والأسس التي اعتمدتها، وهل ثمة اعتبارات ينبغي لحاظها في هذا السياق.

الفهم الدقيق للمسار العام يسمح بمعرفة الظروف المحيطة وملابساتها، فيطلع الباحث والمتتبع على أوضاعها في أصغر تفاصيلها ودقائقها، من قدرات وإمكانات القوى الفاعلة المؤثرة والقادرة على صنع القرار واتخاذه.

---

(١) ابن كثير السيرة النبوية، ج٣ ص٣٢٨.

نظرة سريعة إلى كل ذلك، سوف تفضي إلى القول بأن اليهود أصحاب الجاه والنفوذ والأموال يقيمون بنواحي المدينة باستثناء بني قينقاع، ويعتمد عليهم في الاجتماع اليثربي بكل قوة. وما البطون العربية إلا أجنحة تتحالف مع هذه القوى النافذة والمهيمنة وفق مصالحها واعتباراتها.

لبثت يثرب في استقرار دائم إلى أن وقعت بين الأوس والخزرج الحروب الدامية، لم يسمع قط اكثر وأطول منها، أولها حرب سمير ثم حرب السرارة ثم فرع وتبعها حاطب ولحقها الربيع ثم يوم البقيع ويوم الفجار الأول وبعدها يوم معبس ومضرس، والفجار الثاني وكانت آخرها وأكثرها خسائر بالأرواح، قتل فيها الرؤوساء من الأوس والخزرج، وكان النصر في اغلب هذه الحروب للخزرج إلى أن حالفت الأوس قريظة والنضير واستمال الخزرج قينقاع، وكان اشهر زعماء الأوس حضير الكتائب والد أسيد بن حضير، وعمرو بن عثمان على الخزرج، وكان يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين[1].

لقد اقتنع جميع الأطراف في النهاية بوقف هذه الحروب المدمرة والعبثية، بعد الخسائر البشرية الفادحة، فخرجت هذه القوى خائرة القوى، استنزفت طاقاتها في صراعها الطويل، ولم تخرج إحداها تدعي النصر، الذي تبادلته الأطراف، ولعل مسألة التنافس على حكم المدينة وزعامتها، دفعهم إلى تشكيل أحلاف سياسية قوية، كي لا

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١ ص٤٣٠/ ٤٤٤.

تخوض المعارك بمفردها، ومما لاشك فيه أن اليهود لم يكونوا بمنأى عن هذه الصراعات، ولهم الدور الكبير في إشعالها وإذكاء نارها.

في ظل حالة الهدوء التي نعم بها أهالي يثرب، استقرت التحالفات النهائية على الشكل التالي: الأوس وقريظة والنضير. يقابله الخزرج وقينقاع. هذه هي الصيغة التي عرفتها يثرب قبيل وصول النبي إليها، وسندرس كيفية تعامله مع هذه القوى، والى ما آلت إليه الأمور بعد ذلك.

ك ـ إسلام الأنصار:

تعتبر مكة مسقط رأس النبي محمد ﷺ أهم مدينة في الجزيرة العربية على الإطلاق، لعدة عوامل ظاهرة ومبينة ارتبطت بها، كونها صلة وصل وممر تجاري بين بلاد الشام في الشمال واليمن في الجنوب، فازدهرت تجارتها وانتشرت الأسواق فيها التي كان يقصدها الناس لتبادل سلعهم وبيعها، وأصبحت فيما بعد منابر أدبية يتبارى فيها الشعراء والأدباء. ومركزاً للقاء والتعارف، مثل سوق عكاظ.

وترتبط بعدد من البلدان بعلاقات تجارية هامة مع أمراء العرب في اليمن واليمامة وغسان والحيرة. فضلاً عن وجود بيت الله الحرام الذي يحج إليه عرب الجاهلية، وهو من أهم مظاهر التدين في الجزيرة العربية، والذي يغدق على قريش أموالاً طائلة، ومركزاً يجتمع فيه الناس من كل الأقطار في موسم محدد، ومنه انطلقت الدعوة الإسلامية إلى القبائل التي كانت تؤمه قبل عامين من الهجرة النبوية.

كان اللقاء الأول في منطقة العقبة بين النبي ورهط من الأنصار،

وتحديداً من الخزرج، فدعاهم للإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان أمراً مدهشاً بالنسبة إليهم، فأسروا الحديث لبعضهم عن النبي الذي كان يتوعدهم به اليهود ويستفتحون به، فأجابوه إلى ما دعاهم. فأشاروا إلى ما كانت عليه الحالة في يثرب في ذلك الوقت.

«إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم وندعوهم لأمرك»[١].

وعاد الرهط إلى المدينة وأذاعوا ما حصل مع النبي، حتى فشا الأمر وتناقلته الألسن، ولم يبق دار في المدينة إلا وفيها ذكر من رسول الله، وتحدث الناس بذلك كثيراً، عن رقة كلامه وعذوبته، وعن جميل ما سمعوا من حسن الذكر، وفي الموسم المقبل كان الانتظار مرتقباً، فالتقى النبي في المكان نفسه باثني عشر رجلاً من الأنصار، بايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً، وهي ما عرفت ببيعة العقبة الأولى[٢].

وانطلقت الدعوة من قلب الرسول العظيم تشع في كل الآفاق رأفة ورحمة، ودخل الإيمان إلى القلوب حياً نابضاً بكل القيم الإسلامية الخلاقة، ولم تبق هذه الألطاف مجرد شعور، فأراد النبي ترسيخها فيهم، وصحبهم سفيره مصعب بن عمير بن هاشم، يعلمهم الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٤٢٨ ـ ٤٢٩ والطبري، حققه محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت: دار سويدان (د.ت) ج٢ ص٣٥٥/٣٥٦.

(٢) م. ن ص٤٣٠.

وفي العام الأول قبل الهجرة التقى النبي في موسم الحج بوفد من مسلمي الأنصار برفقة مصعب، لموافاته في الوقت المحدد، والتخطيط للمرحلة المقبلة، وبايعوه بيعة الحرب، وبلغ عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين[١].

واستوثق النبي من هذه البطون، وتمكن من استحواء عدد كبير من المؤيدين له وأخفقت قريش مرة أخرى في رصد ما يجري، لكنها ما لبثت أن علمت بما جرى، وأسرعت إلى التأكد من المعلومات التي وصلتها، فأسرعت الخطى لمطاردة الأنصار، لكنها أخفقت، وثمة حيثيات طرأت وأنذرت وعكرت صفو النبي في مكة، إذ مات أبو طالب ناصر النبي، فأجمعوا على التخلص منه، وهو ينتظر أمر الله في الهجرة.

واجتمع الملأ من قريش في دار الندوة التي كانت موئلاً لاتخاذ القرارات الخطيرة فلا تفضي أمراً إلا فيها، وفي المحصلة اتفقوا على قتله بطريقة ملفتة تبعد خطر المواجهة، إذ تختار كل قبيلة واحداً منها ليشترك الجميع في دمه، وتعجز هاشم أمامهم، فيضيع دمه بين القبائل، وينتهي كل شيء.

إلا أن هذا المكر أخبره الله لنبيه من خلال الوحي، وتهيأ لمغادرة مكة، وقد عصفت به مشاعر الأحزان على الفراق، لكنها الأوامر الإلهية، ويأمر علياً بالنوم في فراشه، ليوهم المتربصين ببقائه،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٤٥٤ والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢ ص٣٥٨ ـ ٣٦٤.

ويجتمع المنتدبون للقيام بأعظم جريمة في غسق الليل يرصدون بابه، لكن فألهم قد خاب، إذ اكتشفوا بأن ما يجري محض خيال، وسراب خادع، فأصبحوا بمفاجأة غريبة، لأن رسول الله فارقهم إلى يثرب، وعجزوا عن اللحاق به.

وانتظر أهل يثرب اللقاء المرتقب بحرارة ولهفة بالغة، وحضّرت مراسم الاستقبال المهيب بعناية فائقة، وكل العيون والأنظار محدقة لتكحّل عيونها برؤية خاتم النبيين[١].

ل ـ مغادرة النبي مكة:

بعد بيعة العقبة الثانية بثلاثة أشهر، حصلت الهجرة النبوية الشريفة إلى يثرب، وقد سبقه إليها عدد من المسلمين، هاربين مما تعرضوا له من مختلف أساليب القسوة والعنف والوحشية وألوان العذاب، فرخص لهم النبي ذلك حفاظاً عليهم وعلى دورهم المنتظر، وللتخلص من ضغط قريش المرعب، الهادف إلى قمعهم وحملهم على ترك الدين الجديد.

وفي اتجاه آخر، سعت إلى تصفية النبي الجسدية، منتهزة فرصة وفاة كفيله وحاميه، لكنها أحبطت بفضل العناية الإلهية.

ولم يعد بقاؤه في مكة مبرراً، وعليه البحث عن مكان آخر أكثر أمناً، يتوفر فيه حرية الحركة والتخطيط والتنفيذ، إلا انه لا يتصرف إلا

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢ ص٣٥٥ ـ ٣٦٦ اليعقوبي، تاريخه، ج٢ ص٣٧/ ٣٨ ابن هشام السيرة النبوية، ج١ ص٤٢٨/ ٤٨٢.

وفق الإرادة الإلهية التي تحدد له المكان والزمان. فهي التي تحفظه وترعاه وتسدد خطاه.

حتى الآونة الأخيرة من بقائه في مكة، جاهد بنو هاشم لتأمين حمايته، وعدم التعرض له من قبل قريش في أحلك الظروف وأصعبها، لكنها لم تكن قادرة على الاستمرار في تأمين هذه الحماية في وجه أحابيل قريش ومكرها، ومكث النبي فيها أكثر من ثلاث عشرة سنة، أدى فيها دوره الرسالي بحكمة بالغة وعبقرية فذة، استقطب خلالها أقصى الممكن، ولم يعد هناك ضرورة للبقاء. فاتخذ قرار الهجرة بسرية تامة إلى يثرب، بعيداً عن الأضواء والضوضاء وفق عوامل هامة جداً تتمتع بها، ومنها:

١ ـ قربها من مكة، وكونها تقع على طريق القوافل التجارية لقريش القادمة من بلاد الشام واليمن، ولا يخفى أهمية ذلك بالنسبة لقريش، فهي عصب حياتها التي لا تستطيع العيش بدونها، ويؤهلها للقيام بدور جوهري في الضغط الاقتصادي بقطع الطريق على القوافل المتوجهة نحوها.

٢ ـ عدم أهلية، أو فقل: رفض المدن الأخرى مجيئه، كمدينة الطائف، بل تعرضت له بالأذى، وبالتالي لم يكترث بالتوجه إلى بلد مجهول العواقب، ومبهم الخواطر، ولا يعرف عنه شيئاً ليواجه الخطر دون ناصر ولا معين.

٣ ـ رغبة مسلميها وإصرارهم على مجيئه، بعد أن هيَّأُوا الأرضية الملائمة، مدركاً ما انطوى عليه المجتمع اليثربي من مفاهيم تساهم في نشر الدعوة بأحسن صورها وأخلص تجلياتها. والتأثير على مجرى أحداث المنطقة من موقع القوة والسلطة والريادة.

٤ ـ ما يعانيه مجتمع يثرب من تشرذم وتفكك وصراع، مخلخل الكيان، ضعيف البنى، ركيك التراكيب، ومتباين النسيج إلى درجة انهم يعيشون في رعب دائم، حتى انهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا في النهار[١].

وقد حاولت الخزرج إقامة حلف مع قريش لحماية نفسها من تلك الأخطار المحدقة، ورجعوا خائبين، وقد دأبوا وسعوا للتخلص من هذا المأزق، حتى أن زعيمهم في العقبة لم يخف هذا الحذر والخوف، مجيباً النبي حين دعاه للإسلام: «إن من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين اخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أحد أعز منك»[٢].

٥ ـ تجسيد تعاليم الإسلام على أرض الواقع، من خلال القدوة المعصومة، والأنموذج الأمثل الذي يتوق الناس لرؤيته عن قرب، ويشد من أزر المسلمين وعضدهم، ورفع معنوياتهم في ظل شخصية متكاملة فذة قادرة على تسيير الأمور بشكل أمثل.

---

(١) الطبرسي، اعلام الورى، العراق: ١٣٩٠هـ . ق، ص٥٥ والمجلسي، بحار الأنوار، ج١٩ ص٨/ ١٠.

(٢) الطبرسي، اعلام الورى ص٥٧.

٦ ـ لم تعد فكرة ظهور نبي مرسل بالفكرة الغريبة والمستهجنة، فبشائر اليهود والاستفتاح المستمر به في أكثر من مكان وزمان، أدى إلى خلق أجواء مشجعة ومحبذة لاعتناق هذا الدين من موقع المعرفة والدراية، فضلاً عن كون ذلك مطلبهم الملح الذي يسعون لتحقيقه، وينشدون التغيير المرتقب على يديه.

م ـ وصول النبي إلى المدينة:

غادر النبي المعظَّم ﷺ إلى يثرب في الساعة الحاسمة، مفارقاً أعز بلد عليه بمشاعر التائق إلى العودة، إلى مجتمع لا يعرف عنه شيئاً، ليواجه الأخطار والمصاعب من جديد، وكله أمل بأن يعود ذات يوم إليه ليؤدي إحدى أعظم شعائر الإسلام وهي حج بيت الله، واقتربت المسافة وعلم أهل يثرب بخروج النبي الذي كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر، فأسرعوا الوصول إلى مداخل المدينة، وما برحوا الأمكنة تحت حرارة الشمس الملتهبة.

وفي يثرب لقي رسول الله ﷺ ترحيباً حاراً، وقد بدا للطبقة المستنيرة من أهالي المدينة، علاجاً لهذا النقص الذي كان المجتمع اليثربي يعانيه، وذلك لما وجدوه في الإسلام من تنظيم محكم للحياة، وإخضاع أهواء الناس الجامحة لقوانين منظمة قد شرعتها سلطة تسمو على الأهواء الفردية[١].

إن بلاد العرب لم تخضع إطلاقاً لأمير من قبل، ظهرت في

(١) Ceatani, Annali dell'Islam. (Milano) 1905, P. 334/335.

وحدة سياسية، وخضعت لإرادة حاكم مطلق، بعد أن كانت متناحرة، وتكللت مهمة محمد بالنجاح[١].

وقد تمكن النبي ﷺ أن يضع مداميك أساسية لبنيان كيان نموذجي وفق برنامج فاعل يعبر عن مشروع سياسي يرهص بالتغيير المرتقب على أرضية ثابتة وراسخة، وعقب بيعة العقبة الثانية، تمكنت بعض الشخصيات الإسلامية النافذة التي آثرت ركوب الخطر، أن تمثّل دوراً هاماً في استقطاب عدد كبير إلى اعتناق الإسلام ومن بينهم نخبة لا بأس بها.

وكان الموقف مهيباً، وتقاطر الناس من كل حدب وصوب، صغاراً وكباراً، شباباً وكهولاً، مؤيدين ومعارضين وحياديين، محبين ومبغضين، حتى اليهود الذين كرهوا أن يبعث من غير بني هارون، جاؤوا ليروا بعيونهم ما سطرته كتبهم عنه، لقد تسلق بعضهم أشجار النخل والاطام، ينتظرون ويترقبون. فكان أول من رآه رجل من اليهود، وهو في ظل نخلة، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا جدكم قد جاء[٢].

وانقسم موقف سكان يثرب والجوار ما بين مؤيد ومعارض ومراقب حذر. وأما بخصوص اليهود فاتخذوا توجهين متناقضين:

---

(١) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن ابراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٥٧م، ص٥٢/ ٥٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ص١٩٤.

التوجه الأول: عبر عنه ثلة من أحبار اليهود ووجهائهم، وعلى رأسهم الحصين بن سلام ومخيرق، وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيدات. وهذه النخبة تمثل موقف الوعي والمعرفة المنزهة عن المصالح والغايات والاعتبارات المختلفة، لصالح القيم والمبادئ والأخلاق الرفيعة، وممارسة خطٍ وتوجهٍ سويٍّ، ورؤية صادقة مع ما تنشده الفطرة الإنسانية، والسجايا الفاضلة الراسخة في عقول وقلوب الطاهري المنشأ والتربية ممن كنه حقائق التوراة واستجاب لأوامرها الداعية لوجوب اتباعه والتزام أوامره ونواهيه، ويجسده بدليله الكاشف والمبين، وبرهانه الساطع والناصع، إسلام الحصين بن سلام اليهودي، حبرهم الأعظم، وأغزرهم علماً. فلما أسلم سماه الرسول عبد الله[1] فحدّث عن إسلامه: سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وزمانه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر كبرت، فقالت لي عمتي، حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت. أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران الذي كنا نخبر عنه أنه يبعث مع نفس الساعة.

فأسلمت وكتمت إسلامي عن اليهود، وقلت لرسول الله: إن اليهود قوم بهت، غيبني عنهم، ثم اسألهم عني. ودخلوا عليه، ثم سألهم، أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا،

---

(١) الحصين بن سلام الذي تسمّى بعبد الله بن سلام، يهودي خبيث أظهر الإسلام وأبطن الكفر، فكان ممن يجاهر بالعداء لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

وحبرنا وعالمنا. فخرجت عليهم: يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته. فقالوا: كذبت. فقلت: ألم أخبرك انهم قوم غدر وفجور[١].

لقد كان عبد الله بن سلام من الذين رأوا الحق واتبعوه ظاهراً، ولم يفاجأ بتشكيكهم وإنكاراتهم، فهو الأعلم بهم، وبإحنهم وحقدهم وضغائنهم، وغدرهم وكذبهم وفجورهم، بالأمس كان واحداً منهم، يعرفون منزلته العلمية والدينية والأدبية، فامتعضوا من موقفه وبدأوا التشهير به، ثم نكصوا على أعقابهم خائبين، وهو أيضاً لم يتفاجأ بما جرى، لقد كان الوضع رهيباً ومهيباً، ولا يحسدون عليه، فهو بمثابة كابوسٍ جاثم على صدورهم.

ومثال آخر قريب منه إسلام مخيرق، اليهودي الثري، وكان حبراً عالماً، اعتنق الإسلام وبذل فيه ماله ومهجته، وعرف بموقفه المشرف في أحد حين قال: «يا معشر اليهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال لا سبت لكم»[٢]. ثم أخذ سلاحه وقاتل بشجاعة ووفاء واستشهد، بعد أن أوصى بكل ما يملك للنبي ﷺ.

التوجه الثاني: مثلته غالبية اليهود، من أحبارهم وزعمائهم وعلية القوم. لم يرق لهم ما يجري، وأضمروا العداء للوافد الجديد،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ج٢ ص٥١٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص٥١٨.

وتوجست القلوب ارتياباً، وعبروا عن بغيهم وضغينتهم بسلوكهم المشين، فلم يكونوا ليستسيغوا ما حصل، وانتابتهم خيبة الأمل، وراحوا يتخبطون خبط عشواء، شاهرين سلاح التشهير والتحريض والتجريح، وإشاعة الفتن.

أبرز من يمثل هذا الخط المنحرف كعب بن الأشرف[(١)] وحيي ابن أخطب والزبير بن باطا وكعب بن أبي رافع وسلام بن أبي الحقيق[(٢)]، وخير مثال على ذلك، سأل أبو ياسر أخاه حيي عن النبي «أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟

قال: عداوته والله ما بقيت»[(٣)].

التوجه الثالث: فريق نصب العداء للرسول وامتعض من تطور الأمور بهذا الشكل، وهم أهل النفاق ممن لحقوا باليهود وعملوا تحت جناحهم، من رجال الأوس والخزرج على دين آبائهم من

---

(١) كعب بن الاشرف مختلف في نسبه، فزعم ابن حبيب انه من طيء، وامه من بني النضير، توفي أبوه وهو صغير، حملته امه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد، وكبر أمره، وقيل بل هو من بني النضير.
كان شاعراً وفارساً، من شعراء اليهود، فحل فصيح، وكان عدواً للنبي ﷺ يهجوه، ويهجو أصحابه، ويخذل منه العرب. الاصفهاني، الاغاني، ج٢٢ ص٣٦٠.

(٢) سلام بن ابي الحقيق: من يهود بني النضير، كان تاجر أهل الحجاز، جمع الجموع من مشركي العرب لحرب رسول الله، وبالغ في عداوته وأذيته للمسلمين، فبعث النبي جماعة من الخزرج فقتلوه. البخاري، صحيحه، ج٣ ص١٢ اليعقوبي، تاريخه، ج٢ ص٧٧، ابن سعد، الطبقات، ج٢ ص٩١، بهجة المحافل، ج١ ص١٩٣.

(٣) م. ن ج٢ ص٥١٩.

الشرك والتكذيب، وقهروا بظهور الدين الجديد، بعد اجتماع قومهم عليهم، فلم يعد أمامهم إلا التظاهر بالإسلام، لاتخاذه جنة من القتل، جحدوا بالإسلام ونافقوا في السر لأسيادهم اليهود، وهم كثرة ويتزعم هذا النهج عبد الله بن أبيّ بن سلول! ولعل موقفه مستوحى ونابعاً من التأثيرات الجديدة التي عكرت له مزاجه، وتركته ينوء تحت زفرة العاجز عن مواجهة الحقيقة بعد شعوره بالضعف عن مواجهة الموقف.

وعلى أي حال فإن ابن أبيّ، كان يتحضر لزعامة المدينة من قبل جميع أطرافها الرئيسية (الأوس والخزرج) فـ«لا يختلف في شرفه في قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام بغيره»[(١)].

ورأى أن رسول الله قد سلبه ملكه، فدخل الإسلام كارهاً مصرّاً على نفاق وضغن، فكان رأس المنافقين، واليه يجتمعون[(٢)].

وهو حليف أساسي لليهود، يعتمدون عليه لنفوذه الواسع الذي سيتعرض لانتكاسة، وربما لضرب أسسه وقواعده، تتناثره الأهواء، خالي الوفاض، وتتقاذفه الأنواء، ويضري به إعصار الإسلام الهادر مع حلول المنقذ الإلهي.

التوجه الرابع: موقف المخلصين ممن اعتنقوا الإسلام، وضحوا

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص٢١٩.

(٢) م.ن.

بكل غال ونفيس في سبيل الله، وأقسموا على حماية النبي ورعايته بالدم والأهل والولد، واستعدوا لكل تضحية وفداء، وهم الأكثر وعياً ودراية لدور المخلص المرتقب الذي سيحل بينهم، ويتوسمون فيه كل آمالهم وطموحاتهم وأهدافهم، مآثره تنطق بفضل جهده، وجذوة أمل تلمع لمستقبل زاهر، يتحرقون شوقاً للقائه، مستشرفين غدٍ أفضل. وعلى رأس هؤلاء سعد بن معاذ وعبد الله بن كعب وأبو دجانة وغيرهم.

ن ـ بناء مشروع الدولة:

لم تكن مهمة صاحب الرسالة في يثرب عقب دخولها سهلة يسيرة، في مجتمع انطوى على: حروب مزمنة استمرت لحقبة زمنية طويلة، لا تزال رواسبها موجودة بقوة، وفئات اجتماعية وإثنية غير متجانسة تخضع لانقسامات حادة، وشروخ من الصعب لأمها، فضلاً عن ثارات قبلية خامدة تحت الرماد، تنتظر من يؤججها، والمنافقون يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتحينون الفرصة الموائمة للانقضاض.

ولا نبعد عن الحقيقة، إذا قلنا باستحالة معالجة هذه القضايا، لكن ثمة إجراءات قام بها النبي ﷺ ونجح فيها نجاحاً باهراً، والأحداث التي واجهها المسلمون فيما بعد أثبتت ذلك.

لقد كان الموقف صعباً جداً، ومهمة الرسول خطيرة للغاية، فلا يمكن تجاهل أحد، وان إرضاء أي قبيلة سوف يفسر ضد القبائل الأخرى، وكل لها حلفاؤها الذين ينتصرون لها. وفي ظل هذه الأجواء الملبدة بالمصاعب والعوائق، استطاع رسول الله ﷺ

بعبقريته الفذة وحنكته الماهرة، وبصيرته النافذة أن يحقق الإنجاز الكبير في الاستفادة من كل عناصر القوة الكامنة عند هذه البطون، وتوجيهها وتجييرها، في الميدان الإيجابي الذي يخدم المجتمع الإسلامي دون أن يثيرهم.

وبدأ الجميع يغتبطون من براعة النبي في معالجة شؤون يثرب ومتطلباتها معالجة الطبيب الحاذق، وبدأت رؤوس المنافقين تكشر عن أنيابها وتثير الإحن والضغائن وتستميل ضعاف النفوس، وتتحالف مع اليهود شذاذ الآفاق.

مهما يكن من أمر، وبعد كل ما تقدم كان الشروع في بناء المسجد الجامع أول لبنة جوهرية في مشروع الدولة التي يعزم تأسيسها، والأرض التي اعتمدت يملكها غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زرارة، وأبى رسول الله ﷺ أن يأخذها هبة حتى ابتاعها منهما. وكان مربع الحجم، طوله مائة ذراع وكذا في العرض[١].

ويعتبر بناء المسجد ركيزة أساسية في الأولويات الغائية للمجتمع الإسلامي، ليكون موئلاً دينياً يختلفون إليه، للتباحث في الشؤون والشجون، ويتعلمون أحكام دينهم وما يصلح أحوالهم، وتستقبل فيه الوفود وتنطلق منه الحملات العسكرية لملاقاة العدو.

والإجراء الآخر الذي لا يقل أهمية عن الخطوة الأولى، مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، لتوثيق عرى الإيمان، ولتتآلف

---

(١) السمهودي وفاء الوفاء ج١ ص٣٢٢/٣٢٨ وابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٤٩٥/٤٩٦.

القلوب فيما بينها، والارتفاع بمستوى الإنسان إلى مدارك الكمال الإنساني، لتسمو هذه العلائق برباط الاخوة الإنسانية الحقيقية في مواجهة عوامل التغيرات والتحولات، إنها مهمة شاقة وعسيرة، نظراً لما يكتنفها من غموض، ومن ضغائن قديمة لفئات غير متجانسة.

وعلى كل حال فالمرتكزات الأساسية التي أنجزت حتى الآن، وهي مناط قيام الدولة لم تكن كافية، والحاجة تكمن في إجراء إداري ينظم العلاقة بين بطون يثرب، وكان الأحرى به أن يظل بمنأى عن التركيبات القبلية قدر الإمكان، ويتعامل معها بشكل تدريجي انسجاماً مع عقليتها وفق تطور زمني، وتضمنت هذه الوثيقة تنظيم الحياة الاجتماعية، ومسألة الدفاع عن المدينة في وجه أي اعتداء خارجي. فضلاً عن ترسيخ التعايش السلمي مع اليهود، وحرية ممارسة طقوسهم الدينية، ونشاطهم السياسي.

الفصل الثالث

تنظيم العلاقات
الإسلامية اليهودية

أ ـ مقدمة تمهيدية:

لم يتخذ الرسول ﷺ من الانطواء والعزلة واقعاً له، وإنما تخطى بحركته الآفاق الممدودة، بسياسة حكيمة، وخطوات مدروسة. والاعتراف بالآخر من أخصب الأدوار التي تنجذب إليها التيارات المتخاصمة، التي لا تلبث أن تتحول إلى وجودين لهما المسلك الواحد والغاية المشتركة.

ولابد من الإشارة إلى أن ما اتخذه رسول الله ﷺ من خطوات كأخذ العهود والمواثيق من اليهود لا يمثل اعترافاً بهم وليس من قبيل الاعتراف بالآخر خصوصاً على النحو الذي ذكرت.

درءاً لأمور شتى ربما تطرح على مجتمع يثرب وخوفاً من ظروف والتباسات محتملة، لم يجد الرسول ﷺ الإزالة والاجتثاث حلاً لما يعتري تلك المدينة من تحولات، فكان لا بد من اللجوء إلى سياسات حكيمة تمثل دور الألفة والاقتران في ذاك المجتمع، حيث تتخبط العصبيات والقوميات والأديان، بصورة لم تتخذ شكلاً نهائياً.

وجد الرسول ﷺ يثرب قاعدة هامة، لا بد منها في سبيل استمرار الرسالة، وتأمين الفاعلية والاستمرارية لحركته التغييرية. ولكن

مقتضى القاعدة السياسية، تتجسد في ضرورة القضاء على السلبيات والأحقاد الداخلية أولاً، وتوحيد الأمة وتطلعاتها ثانياً، بغية تهيئة الأمن والاستقرار الداخلي، الذي يؤدي بدوره إلى التكتل والتواصل، عندئذ تتوحد الجهود للقضاء على العدو الخارجي، سواء شكل خطراً، أو كانت الخطوات تؤول للقضاء على أفكارهم وتغييرها، وزراعة رسالة وأفكار جديدة.

تمهيداً للدولة الإسلامية الأولى في يثرب، والتي كانت أملاً ينبض في الأفق، فيرى المسلمون إرهاصاتها، عمل الرسول ﷺ على استيعاب مختلف الطوائف والقبائل والجماعات، خاصة الأوس والخزرج من ناحية، ثم أهل الكتاب من اليهود من ناحية ثانية، والذين كانوا يشكلون في يثرب ثقلاً هاماً، من مختلف الجهات، وكان لهم دور في إذكاء الخلافات بين القبائل، مصداقاً للمقولة المعتمدة على التفريق من أجل السيادة.

انطلاقاً من ذلك، وجد الرسول ﷺ ضرورة إيجاد وثيقة وتعاهد، تبرم أو تعقد لإيجاد الألفة بين المهاجرين والأنصار من ناحية، وموادعة اليهود الذين كانوا في يثرب من ناحية أخرى. وهنا تكمن الدقة في التعامل السياسي مع الأطراف المختلفة ضمن الوطن الواحد، والميول المختلفة السياسية والغائية المتباينة. وربما يمكننا القول بأن العهود والمواثيق التي أخذها رسول الله ﷺ على اليهود، إنما هي لكي يأمن النبي والمسلمون شرهم ولتنظيم العلاقة معهم.

ب ـ نص الوثيقة:

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، انهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين

المؤمنين؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

قال ابن هشام: المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه؛ وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وان أيديهم عليهم جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وان ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم؛ وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وانه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وان سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وان المؤمنين يفيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وانه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وان المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه

الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وانه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، والى محمد ﷺ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يؤتغ إلا نفسه وأهل بيته، وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني الأوس، مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فانه لا يؤتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وان البر دون الإثم، وان موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم.

وانه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وانه لا ينحجز على ثأر جرح، وانه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم، وان الله على أبر هذا، وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وان بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه، وان النصر للمظلوم، وان اليهود ينفقون مع

المؤمنين ما داموا محاربين، وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وانه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل والى محمد رسول الله ﷺ.

وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره وانه لا تجار قريش ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وان يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض؟ من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن هشام: ويقال: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة. قال ابن إسحاق: وان البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعدا آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو إثم، وان الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ[١].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٥٠١/ ٥٠٤.

ج ـ أهمية الوثيقة التحليلية:

لا بد من الإشارة، إلى أن الباحثين والمحللين لم يهتموا بدراسة الصحيفة والوثيقة التي وضعها النبي لدولة الإسلام الناشئة، على الرغم من أهميتها البالغة على صعيد العلاقات الإسلامية اليهودية، لذا نقوم بدراستها وتحليلها بصورة عميقة ودقيقة، لتبيان ما تضمنته من مبادئ وأحكام وقوانين شاملة، تلبي حاجات الإنسان الفطرية، انطلاقاً من النظرة الغائية للعلاقات الإنسانية.

يذكر المؤرخون انه بعد فترة وجيزة من قدوم النبي ﷺ إلى يثرب، وقبل أن ينصرم العام الأول من الهجرة، وبعد خمسة أشهر من وصوله كتب النبي صحيفة أو وثيقة بين المسلمين أنفسهم (المهاجرين والأنصار) وبينه وبين اليهود، وادع فيها يهود المدينة وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم عدم التآمر على المسلمين.

وقبل التحدث عن هذه الوثيقة وأهميتها، لا بدّ من الإشارة، ولو بشكل موجز إلى المجتمع الجاهلي، الذي ساد في المدينة قبل مجيء النبي إليها. ليتسنى الاطلاع على حيثياتها ومدلولاتها بكنه الظروف المحيطة في تلك الحقبة التاريخية.

من المسلَّم به في العصر الجاهلي، أن العصبية القبلية تشكل محور السلطة، وما ينجم عن ذلك أدهى وأمر، لتسود شريعة الغاب، ويقتل القوي الضعيف، فلا مانع ولا رادع، ولا سلطة تحاسب،

وتعدم المبادئ والقوانين التي تحكم المجتمعات. فالانتماء للقبيلة والتعصب لها وحدها يؤدي في كثير من الأحيان إلى حروب كبيرة تقوم لأسباب تافهة.

من هنا جاءت الوثيقة غاية في الأهمية، ولتضع قواعد كلية، وأسساً عملية لتنظيم كافة الشؤون الحياتية في الدولة الفتية، وعلى جميع الأصعدة الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية. فهي بمثابة دستور كامل وشامل للدولة الإسلامية الناشئة، فهو يضع الأسس المستقبلية للعلاقات الداخلية والخارجية في المدينة.

ساهمت القوانين والإجراءات التي تضمنتها الصحيفة في تلبية حاجات ومتطلبات مجتمع يثرب. فألغت الانتماء القبلي الضيق، وجعلت الانتماء للأمة.

وبناء عليه، نسجل بعض النقاط حول دراسة وتحليل هذه الوثيقة، ونبرزها على النحو الآتي:

١ ـ قررت الصحيفة بأن المسلمين جميعاً أمة واحدة رغم اختلاف قبائلهم وانتماءاتهم، وحالتهم الاجتماعية. وبهذا العمل ألغى الرسول ﷺ الحدود القبلية، وجعل الانتماء للأمة الإسلامية الموحدة، بدل الانتماء إلى القبيلة التي تفتت وحدة العرب، وبالتالي دعا إلى ما يوحدهم ويشد أزرهم، ويبعدهم عن التشتت والتفرق.

هذا القرار له أبعاده السياسية والاجتماعية وانعكاساته المعنوية على الحالة النفسية والفكرية وكافة النواحي الحياتية.

فقد ورد في القرآن ما يؤكد هذا المعنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١).

٢ ـ بالرغم من أن النبي ﷺ ألغى نظام القبيلة ودمج كل القبائل في الأمة الإسلامية، وحدد انتماء الفرد إلى الإسلام بدل الانتماء إلى الحدود القبلية الضيقة، إلا أن النبي لم يتجاهل العقلية الجاهلية في اتخاذ وتنفيذ القرارات الواردة في الصحيفة، فأوكل لكل قبيلة مهمة مرتبطة بها وهي مسؤولية دفع ديات القتلى، وفداء الأسرى عن الأفراد الذين ينتمون إليها.

هذا الدور ملقى على عاتق القبيلة، مؤداه إيجاد نوع من الترابط بين أفراد القبيلة، التي تشكل محور النشاط الجاهلي. ويسهم في بلورة شعور العزة والفخر لأفرادها المحاربين مثلاً، فينتابهم شعور يضج بالسؤدد والنشوة والثقة بالنفس، بأن هناك من يهتم لأمرهم، عندئذ ترتفع معنويات المحارب، الذي يرى احتضان ورعاية قبيلته، التي تساعده في تجاوز كافة الصعوبات التي تواجهه.

فالعبء إذا تحملته العصبية القبلية يخلق اطمئناناً مفيداً، وبالتالي يصبح أخف وأيسر من أن يتحمله الناس أصحاب المشكلة(٢).

---

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

هذه الآية خاصة بالنبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ولا يدخل غيرهم فيها أبداً، لأنها تتكلم عن كينونة وواقع أشخاص معينين لهم هذه الصفات والحالات والأفعال وأنها ثابتة لهم لا تنفك عنهم ولا تفارقهم لأنها داخلة في كيانهم الوراثي ولا يوجد من هو أهل لهذا الوصف غيرهم..

(٢) إن دفع الديات لا دخل له بالمحاربين ولا بمعنوياتهم بل هي نتيجة لقتل النفس خطأ وشبه=

٣ ـ ألغت الصحيفة حق الأخذ بالثأر الذي كانت تعتمده القبيلة في العصر الجاهلي، وكثيراً ما كان يؤدي هذا النظام إلى حروب كبيرة، لذا أوجدت الصحيفة قوانين للعقوبات وألزمت الجميع بتنفيذها، وترتب عليه قيام القبائل بواجبها في تسليم القاتل لولي المقتول، لينال قصاص فعلته، ليس هذا فحسب، بل إن القبيلة التي لا تؤدي ذلك، فإنها ستتعرض لعداء كافة قبائل الأمة، وفيما بعد على الأمة أن تتحرك لمواجهة رفض تلك القبيلة، ومن الطبيعي عندئذ أن ترضخ تلك القبيلة التي ينتمي إليها القاتل لقرار الجميع.

من هذا المنظور، نرى بان إسناد قرار المحاكمة والمحاسبة لسلطة الأمة الإسلامية، يلغي إمكانية استخدام القبيلة حق الأخذ بثأرها، فلا يوجد إلغاء لحق الأخذ بالثأر مطلقاً، بل يوجد إلغاء ولاية لمن ليس له ولاية وإلغاء الإسراف في القتل، وذلك بأن لا يقتل ولا يقاد إلا من الجاني وفي صورة العمد فقط. بالإضافة إلى ذلك فإنها تضع حداً لكل من تسول له نفسه بالاعتداء على الآخرين، لأنه سوف ينال الجزاء الذي يستحقه، مهما كان انتماؤه القبلي، ومركزه الاجتماعي. ولهذا القرار الأثر الواضح في حفظ الأمن والاستقرار، وسينعكس آثاراً إيجابية على الحالة النفسية والمعيشية والحياتية بصورة عامة على الناس.

=العمد. وَلِوَأْدِ الضغائن والأحقاد التي تنتج عن القتل وإلغاءً لسنة الأخذ بالثأر في مورد كون الجاني غير متعمد للقتل أو للفعل وعليه فإن الأخذ بالثأر هنا ظلم محض إلا أنه يعوض ذوي المقتول بالدية. أما الأخذ بالثأر فكان يأخذ أحياناً منحىً عشوائياً فيقتل الولي صاحب الدم أو غيره أحياناً غير الجاني وقد يقتل أكثر من واحد فيسرف في القتل..

٤ ـ قررت الوثيقة أن مسؤولية دفع الظلم تقع على عاتق الأمة، ولا تختص بمن وقع عليهم الظلم. هذه المسألة لا تنحصر بفرد أو قبيلة، إنما هي مسؤولية الأمة كلها، فالبعد السياسي لهذه المسؤولية قد يمس سلطة الحاكم، ولكنه لا يؤثر عليها كسلطة عليا حاكمة. بل يساعدها في تنفيذ القرارات والإجراءات اللازمة لقمع أي ظلم يمكن أن يصدر من أي قبيلة، مهما عظمت قوتها، وعلا شأنها الاجتماعي والسياسي، وبالتالي ستنال عقابها لتكون عبرة ودرساً للآخرين، فيرتدعون عن القيام بأية مشكلة تخل بالأمن، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

٥ ـ نصت الاتفاقية على عدم قود المسلم بالكافر، وفي هذا تأكيد على عدم التساوي بين المسلم الذي يحمل المبادئ والقيم التي تسمو بالإنسان، والكافر الذي لا يؤمن بها، من هنا فإن شرف الإنسان يعود إلى ما يتمسك به من مبادئ سامية وأخلاق رفيعة، فلا يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمة والنور. فهناك بون شاسع بين إنسان ينطلق من معايير لممارسة نقاء إنسانيته، وآخر يعيش على هامش الحياة، لا قيمة لوجوده في هذه الحياة، «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

٦ ـ أكدت الصحيفة على زعامة النبي ﷺ السياسية للدولة الفتية، فهو المرجع الوحيد لكل الخلافات التي يمكن أن تحصل، وهو صاحب القرار، واليه يعود الفصل والحل، «إنكم مهما اختلفتم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

فيه من شيء فإن مرده إلى الله، وإلى محمد رسول الله» وفي هذا تكريس للسلطة الإسلامية، واعتراف لها من قبل ألّد أعدائها، وأعني بهم اليهود، الذين كانت لهم الزعامة والسيادة.

وبعد هذه الوثيقة، وجب عليهم، ورغماً عن أنوفهم، أن يعترفوا بواقعية وموضوعية، بأن هناك قوة صاعدة لا بد من التعامل معها على أساس أنها السلطة العليا والوحيدة المخولة بفض الخلافات، ومنع قيام الفوضى من جراء تعدد السلطات، والإبقاء على سلطة واحدة تتمثل بزعامة الرسول الأكرم لمجتمع المدينة.

٧ ـ فرضت الوثيقة على اليهود قراراً بمثابة صدمة لحقت بهم، هذا القرار ينص على عدم السماح لليهود بالخروج من المدينة إلا بعد إذن الرسول «وان لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد».

جاء هذا القرار ليؤكد مرة أخرى بأن السلطة الفعلية الوحيدة التي تترأس المجتمع وتعود إليها الحاكمية المطلقة تتمثل بشخصية الرسول الفذة.

ولعل رسول الله ﷺ اتخذ هذا القرار، لكي لا يفسح في المجال لليهود من التآمر على الدولة الإسلامية الفتية مع أعدائها من المشركين في قريش. وليضع حداً لغلواء اليهود الذين يدعون لأنفسهم، ويعتبرونها شعب الله المختار، وان الناس خلقت لخدمتهم، مما ابطل زعمهم، وفرض عليهم العودة إلى النبي لطلب الإذن في الخروج من المدينة.

٨ ـ إن القرار الذي اعترف به اليهود، والذي ينص على أن

الرسول هو المرجع الوحيد لإنهاء المشكلات التي تحصل بين اليهود والمسلمين، له انعكاس ومدلول سياسي كبير على نفوس اليهود وغيرهم من الناس الذين يعيشون في المدينة، ولهذا القرار صداه على المنطقة بأسرها، ليذاع صيت السلطة الإسلامية خارج المدينة كونها مصدر القرار، عندئذ لا مفر من الاعتراف بها والتعامل معها على هذا الأساس.

٩ ـ أكدت على تضامن المسلمين وتكاتفهم في صد أي هجوم على يثرب، والوقوف في وجه أي خطر يهدد كيان المدينة. «وان بينهم النصر على من دهم يثرب» فمسؤولية الدفاع عن المدينة والتصدي للعدو هي مناطة بالجميع، فألزمت اليهود بموالاة المسلمين وعدم التآمر عليهم، بل الوقوف إلى جانب المسلمين في مواجهة المعتدي، لأنهم يعيشون في المدينة، والدفاع عنها يؤخذ على عاتق الجميع.

١٠ ـ شددت على تماسك المسلمين واتحادهم ضمن الإسلام، فلم تسمح للمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن إذا قتل قريب له كافراً، ولا يحق للمؤمن أن ينصر كافراً على مؤمن (ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر) فأبطلت مفعول العصبية القبلية التي تفضل الانتماء للقبيلة على ما سواها والانتصار لأبنائها، حتى ولو كانوا هم المعتدين، فالانتماء للإسلام الذي يوجب على المؤمن أن ينصر أخاه المؤمن ولا يلتفت أبداً للكافر المقتول، حتى ولو كان من أقاربه، وفي هذا إظهار لعظمة الإسلام الذي يحمله المؤمن، والذي يميزه عن الآخرين، واعتبار الكفر درجة منحطة لا قيمة لها، وفي ذلك أفضلية ظاهرة للمؤمن.

١١ ـ نصت الوثيقة على كل من يعترف بها، فلا يحق له أن ينصر محدثاً ولا إيواؤه «وأنه لا يحل لمؤمن اقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً» وهذا من شانه أن يشيع الأمن والاستقرار في المجتمع ويخفف من التوترات بين القبائل والأفراد، ويساعد في إنهاء حالة التنافس الحاد بين كل من قطبي المدينة الأوس والخزرج. ويتضمن هذا القرار أيضاً إنذاراً لكل الذين يحاولون التعامل مع هذا المحدث، وانهم سوف يتعرضون لنقمة المسلمين جميعاً، وبالتالي لجميع الذين يعيشون في المدينة من اليهود والمشركين.

١٢ ـ نصت الصحيفة على اعتراف مسجل من قبل اليهود والمنافقين والمشركين، بأن المؤمنين على أحسن هدى، بينما كان هؤلاء في السابق يطلقون الإشاعات ضد المؤمنين، ويحاولون النيل منهم ويتعرضون لشخص النبي، لأنه جاء ليفرق بين الناس ويسفه أحلامهم، وينكد معيشتهم، وهذا من ضمن الاعترافات التي فرضت على اليهود، والتي لم يكن هناك مفر منها، فالاعتراف بأفضلية المؤمنين أمر واقع، لا يمكن تجاهله.

١٣ ـ أطلقت الوثيقة لليهود حرية ممارسة طقوسهم الدينية «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم» بشرط عدم التآمر على المسلمين وموالاة أعدائهم، إن هذه الصفة لا تعطي الحرية المطلقة لليهود في ممارسة شعائرهم وطقوسهم بل هي أقرب إلى صيغة التبري من دين اليهود ومما هم عليه من اعتقادات وطقوس منحرفة وجعل الميزة

ليميز الخبيث من الطيب أكثر منها اعترافاً أو إعطاء حرية. وفتحت لهم باب الانتماء للأمة الإسلامية «أن من تبعنا من اليهود له النصر والأسوة» فإطلاق الحرية العامة (مثل حرية الأمن وحرية العقيدة) يدل على رقي وحضارة القرار الإسلامي الذي لا يخشى أمراً، فهو قائم على أساس الصدق، وهو يستفيد من كل هذه الحريات العامة، فهي خط الخير والبناء، ولذلك فتح باب الانتساب للأمة الإسلامية، حتى لليهود بشرط عدم الإفساد والتآمر.

١٤ ـ فرضت على المشركين واليهود قيوداً تمثلت بعدم السماح لهم في أن يجيروا مالاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، بالمقابل أعطت الصحيفة الحق للمسلمين في التصدي لقريش لاسترداد ما سلبته من أموال المسلمين، وما فعلته معهم لإخراجهم، من ديارهم، وفي هذا اعتراف من المشركين بحق المسلمين في محاربة قريش لاستعادة حقوقهم.

١٥ ـ اعترفت بوجود اليهود، وأشركتهم في القرار، لأنه وجود فعلي لا يسعها إنكاره، وكان هذا الانفتاح على اليهود، نقطة تحول إيجابي واعترافاً بهم، بغية العيش المشترك معهم ومجاورتهم. ومما لا شك فيه أن الرسول ﷺ ومن معه، كانوا يملكون مواقع القوة والسلطة والقرار، وجاءت العلاقات منطلقة من الحيوية الرسالية المرنة، وليس من الضعف والخنوع.

ثم إننا نرصد بعداً آخر، وهو عدم إمكانية التحرك خارج يثرب، إلا بإذن خاص، وهذا من الضمانات السياسية التي تدرأ إمكانية

التدخل الخارجي، وحوك المؤامرات ضد المسلمين ويثرب وخاصة أن المشركين يترصدون هذا الأمر، كما أن الترابط اليهودي ممكن في الخارج.

فاطلاعاً على إمكانية خلق هذه التوترات، فضت الوثيقة النزاع المحتمل.

١٦ ـ أشارت الوثيقة إلى شأنية اليهود، وموقعهم السامق في يثرب، في الاشتراك بأمورها ومصيرها، وليس كجماعات وعصبيات لكل واحدة منها نهج ومسلك.

ويجمل بنا القول، عن بداعة ومهارة هذا التخطيط السياسي، في النظرة للعلاقات بين الأمم والجماعات والطوائف، والذي يضمن لها الأمن والاستقرار ضمن الوطن الواحد المشترك. وكان الحل أمام اليهود منحصراً في أمرين:

أما البقاء بحيوية داخل المجتمع الإسلامي الذي أقرته الطوائف والقبائل، أو الرحيل عن هذا المجتمع، وتركه حراً سعيداً يتدبر أمره. وهذا ما حصل في مستقبل تلك العلاقات التي حال اليهود دون بلورتها في صيغة قابلة للتطبيق والاستمرارية. واتخذوا كافة الذرائع لإعادة تفردهم وهيمنتهم التي أصبحت من المحال في ظل التغيرات الطارئة، فأودت بهم إلى الرحيل بعد اصطدامات دامية.

١٧ ـ ربما يتوهم بعض المحللين المتحللين من ربقة الإسلام، أن التعاهد والصلح وغيرهما مع اليهود ممكن وحاصل بالضرورة، ثم

يقدمون هذه الوثيقة نموذجاً للعلاقات الإسلامية اليهودية. ولكننا نلفت الانتباه إلى هذا التوهم وخطئه في المقارنة والملاحظة.

فلو كانت الظروف والمقومات الحالية شبيهة بالواقع والظروف حيث كانت هذه الوثيقة، لكانت الإمكانية حاصلة، فالوثيقة المقترحة من قبل المسلمين، وهم في قوتهم وسلطتهم، ومن واقع الأمر والنهي، بينما لا نشاهد هذا الأمر في واقعنا الحديث. فالذين يسنون ويوقعون معاهدات واتفاقيات مع اليهود، نراهم يشكلون الجانب الضعيف المغلوب على أمره، ومن جانب الحكم وحده دون ملاحظة كافة عناصر المجتمع وأبنائه.

وعليه، تخضع هذه الوثيقة لموضوعية الظرف آنذاك، وبلحاظ المصلحة العليا للمسلمين. لذلك فإن عملية انطباق تلك المعاهدة ومقتضياتها على زماننا الراهن منافٍ لشروطها الموضوعية وفق رؤية تشخيصية حكيمة ارتآها رسول الله ﷺ.

١٨ ـ ومما لاشك فيه، أن يهود يثرب يشكلون جزءاً هاماً من التشكيل الاجتماعي في المنظومة الجديدة للاجتماع الديموغرافي فيها، فلا يسع الإسلام رفضهم، بل يتعامل معهم بحكمة وواقعية وحذر، وإما بصهرهم فيه، أو بتعامله معهم بسياسة مدروسة، لها أطرها المرسومة بدقة متناهية، خشية عواقبها السلبية، ومقارنتها مع العصر الجاهلي.

فإن اليهود اليوم يشكلون عنصراً دخيلاً، يريد أن يزيل

الموجود، بغية تثبته وتجذره، وشتان بين قوم يزيلون ويحذفون ويدمرون ليستقروا، وقوم موجودين بالأصل، ومن ثم الحوار معه في سبيل العيش المشترك، لأن الإسلام ليس ديناً عدوانياً ليكون البادئ بل هو دين المبادئ والقيم والأخلاق.

كما أن النظام الذي كان يحكم يثرب، وإن ترك الحرية الدينية لليهود، إلا أنه وضع موازيين سياسية ونظامية لا يسعهم تخطيها، مما يؤيد كونهم تحت نظام الحكم الإسلامي في مقابل يهود اليوم، الذين اتخذوا لأنفسهم نظام حكم خاصاً بهم، ويختلف عنه، وأذلوا المسلمين وحاربوهم وأخرجوهم من أرضهم وديارهم من اجل السلطة، والتجبر والإفساد في الأرض وغير ذلك.

أياً يكن الأمر، فلا يمكننا أن نضع مجالاً للمقارنة، بين العلاقات الإسلامية اليهودية اليوم، والعلاقات التي كانت سائدة في السابق، فلا نستطيع أن ننطلق لنقر صلحاً مذلاً، أو نصغي لبعض الأصوات المهادنة المخدوعة بشعارات براقة أقرب إلى الخواء. فشتان إذن بين المعايير القديمة والحديثة.

١٩ ـ تعاطى يهود يثرب مع الصحيفة بوداعة وطلاقة، وبشيء من الترقب، فلم تكن هذه الإجراءات الإسلامية مجحفة بحقهم، بل وضعتهم في مصاف التمييز والاحترام، فهي تضمن لهم ممارسة حريتهم الدينية والفكرية، وتقيد تحركاتهم، التي ربما تؤدي إلى خطر على الأمة الإسلامية.

ومن ثم اعتمدوا وسائل الخدعة والتآمر والفتك، فكان قرار الإسلام بعد الوثيقة صارماً بحقهم بما كسبت أيديهم. وهكذا تحولوا من معاهدين مسالمين، إلى معاندين محاربين، فلذا كانت نظرة الإسلام تتغير من إطار إلى آخر، تبعاً للموقف.

بينما نجد في مجتمعنا الحديث أن اليهود جمعوا فئاتهم وأقطابهم من كافة الجهات والأقطار، ودخلوا على أرض ليست لهم وقاموا باغتصابها وطرد أهلها، ولم يتركوا مجزرة أو حرباً أو مؤامرة أو دسيسة إلا ودبروها في وجه المسلمين، وحتى إذا ما تحولوا إلى مسالمين واجتمعت الشروط التي ينبغي أن تتواجد في المعاهدة المبرمة بين النبي واليهود عندئذٍ يمكن أن تتغير النظرة الإسلامية، ولكن الأمر قريب من المحال. لأن اصل الاجتماع على أرض فلسطين قضية المسلمين المركزية هو أمر مستحيل.

٢٠ ـ ربما يتعرض الإسلام أثناء تواجده في يثرب لحملات وصراعات تهدف إلى إزالته، لذا تواجد اليهود في الداخل سيشكل أمراً مريباً، فهل يقفون إلى جانب المسلمين، ومن يضمن ذلك؟

أم هل يقفون مساندين للمهاجمين والمعتدين؟

أم انهم سيقفون مكتوفي الأيدي. وربما تنتهي المعارك فيعلنون تأييدهم للجهات المنتصرة، لذا أراد الإسلام أن يشركهم بالأمر، ولكن الحرب والمشاركة فيها من الأمور التي ربما تعتبر صعبة لإمكانية حصول الخيانة والتقلب، أو لكره هذا الأمر باعتباره ثقل

عليهم، ﴿خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

مقابل عدم وجودهم في ساحات الحرب والمشاركة فيها، يتوجب على اليهود أن ينفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين، وكأن المشاركة المالية والاقتصادية طلبت من اليهود وفرضت عليهم لقاء الحماية والأمن والاستقرار لهم الذي يطلب من الجماعات والفئات المسلمة.

كما أن هذه الوثيقة حدت من الاتصالات الخارجية، التي قيدت بضرورة الحصول على إذن النبي ﷺ أحدث الضمانة ومأمناً للمسلمين، فلا تحاك عليهم المؤامرات وتخفى عنهم الدسائس.

٢١ ـ لم يهمل رسول الله ﷺ العقاب الدنيوي، الذي يتمثل في وضعه مجموعة من القوانين الصارمة تجاه الذين يحيدون عن الخط الذي أقرته الوثيقة. فالأمر الذي يقع عليه الاختلاف سيكون مرده إلى الله والنبي، كما أن اليهود يستمرون على حريتهم وشأنيتهم إلا من خان، حيث إن الأمر سيكون مهلكاً له ولجماعته.

وكما انه من أراد أن يتقلب في السلبيات فإن ذلك سيؤدي به إلى الفتك والعقاب، وهكذا تؤكد الوثيقة أمرين هامين:

أحدهما: يتجلى في التقيد والالتزام ببنود الوثيقة، وهذا يحافظ

---

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٤٧.

على العلاقات القائمة، ويوطد الأمن والاستقرار والتواصل بين كافة الأطراف، والانصهار ضمن الوطن الواحد.

وثانيهما: الخروج عن عهد الوثيقة سيفضي إلى سلبيات عواقبها غير محمودة، كذلك فإننا نرى عدم إمكانية التقليب، لأن الخروج على الوثيقة في جزئياتها إنما هو انتهاك لها، وإعلان عن عدم قبولها.

٢٢ ـ استخدمت الوثيقة تعبير المؤمن بدل المسلم وهذا يدل على خصوصية وامتياز للمؤمن، فيزيد من إخلاص المؤمن ويرفع من شأنه، وفي ذلك توجيه ضربة للمنافق الذي يرتدي قناع الإسلام ويظن نفسه بأنه يخدع المؤمنين وما يخدع إلا نفسه.

ولا شك أن النبي ﷺ أراد من تكرار كلمة بالمعروف والقسط ليؤكد على مسألة وهي التزام وسائل المعروف والإحسان في تطبيق الحكم الشرعي، فلا يجوز الابتعاد عن مبدأ العدالة والمساواة في تنفيذ الأحكام على الناس جميعاً يهوداً أو مسلمين.

د ـ خلاصة القضية:

أخيراً جاءت هذه الوثيقة بمثابة دستور شامل لدولة الإسلام الفتية والتي كانت في طور بدايتها فوضعت أسس العلاقات الداخلية بين المسلمين أنفسهم ورسمت حدود العلاقة مع اليهود الذين يعيشون ضمن المجتمع الإسلامي، وبالتالي جاءت الوثيقة لتلبي الحاجة الفطرية للإنسان، ولتضع بين يديه قوانين لم يكن يعرفها، لتساعده في اجتياز مصاعب هذه الحياة. أضف إلى ذلك فإن الوثيقة جاءت

لتفرض على اليهود قيوداً وتجبرهم على الاعتراف بالسلطة الإسلامية العليا، فلا مناص من الرجوع إلى القيادة الإسلامية المتمثلة بالنبي ﷺ لحل أي خلاف يمكن أن يحصل، فهو المرجع الوحيد واليه يعود الأمر في حل المشاكل الطارئة.

ولم تكتف الوثيقة بذلك بل أوجبت على اليهود أخذ الإذن في حال الخروج من المدينة، هذه القيود كانت ضربة قاصمة لليهود الذين يزعمون بأن الناس خلقوا ليكونوا خدماً لهم.

إلا أن هذه الوثيقة رغم هذا العمق الذي تجلى فيها، وهذه السياسة الحكيمة التي برزت من خلال بنودها، ورغم تقيد المسلمين بما جاء في مضمونها، والتزامهم بما قرروه على أنفسهم فيها، إلا أن اليهود لم يكفوا عن أعمالهم الشغبية وقاموا بنقضها والقفز عليها لأنها لا تتناسب مع مصالحهم الشخصية ومآربهم التي يسعون إليها، هذا مع الترحيب الشديد في البداية.

لم يقف الرسول والمسلمون مكتوفي الأيدي أمام هذا التهاتر والمحاولات التي تسعى إلى إعادة قوتهم وهيمنتهم وتمردهم، لذا لم يعد هناك إمكانية سوى خيار الصدام المسلح الذي فرض على المسلمين نتيجة نقض العهود والمواثيق وعدم التقيد بمقتضيات العلاقة السياسية الثنائية.

الفصل الرابع

مرحلة الصِدام المسلح

أ ـ أحداث تمهيدية:

أول ما يستوجب الوقوف عنده في هذه المرحلة قدرة النبي ﷺ الفائقة في التعاطي مع قوى الأمر الواقع، ولا بد من تسجيل نقطة إيجابية في هذا المضمار لها نتائجها المرتقبة، ترسخت في العمل على استرضاء اليهود واستمالتهم أول الأمر، من خلال العهود والترتيبات الإدارية التي عقدها معهم، وعرفت فيما بعد باسم الصحيفة، والتي اعتبرتهم جزءاً من الكيان الإسلامي الحديث، والتي منحتهم حرية ممارسة طقوسهم الدينية تحت مظلة السلطة الإسلامية.

لقد حرص النبي ﷺ قدر الإمكان على الإبقاء على هذا الوضع، والطلب من المسلمين عدم القيام بأي إجراء يثير حفائظ اليهود، متفرغاً بالكامل لمحاربة قريش، والحد من نفوذها.

وبدأت إيجابيات الدور المنتظر تترى بإسراع بطون يثرب بالاندماج بالمجتمع الإسلامي وإعلان ولائها واعتزازها باعتناق دين الإسلام، وقدرته على توحيد الصفوف، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الانفال الآية ٦٣.

وتظاهرت يهود يثرب بالرضى بداية الأمر، ربما لأنهم كانوا يرجون أن تقوم قريش بمهمة القضاء على المسلمين في الأيام المقبلة، أو على الأقل استنزاف قواها، وتبدو بعدئذٍ سهولة ضربها والتخلص منها، لكن فألهم خاب، وكشفت الأيام عن حقيقة وجههم، ونواياهم المبطنة فخرجوا عن صوابهم بعد أن نفد صبرهم وأعياهم لزوم الصمت، فانكبوا بشراهة على القيام بأعمال اتصفوا بها عبر التاريخ: فبدأوا بسلاح الدسيسة والوقيعة من خلال إثارة الخصومات القبلية بين الأوس والخزرج، وتذكيرهم بحروبهم الجاهلية، وكادوا أن ينجحوا لو لم يسارع رسول الله ﷺ في إحباط الفتنة وإخمادها[١].

ثم اندفعوا إلى تشكيك العوام وضعاف النفوس بدينهم، بالحسد والشبهة واستمالة البعض[٢].

وانتهوا بعد ذلك إلى سلاح العلم لإعجاز النبي ﷺ وإظهاره في موقف الضعيف الذي لا يقوى على ردّ مزاعمهم، ولكن السحر انقلب على الساحر، فأزيلت حجب التمويه عن أوجه الحقائق، وترسخت التعاليم، وباؤوا بفشل عظيم، ولجأوا أخيراً إلى ممارسة الضغط الاقتصادي باستغلال الناس من خلال الربا والاحتكار وأساليب الابتزاز المتنوعة التي تأصلت في أعماقهم.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ مصر: ١٣٥٥هـ.ق، ص٥٥٥/٥٥٦ والسمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص٢٦٨/٢٦٩.

(٢) الجاحظ، رسالة الرد على النصارى، (تحقيق عبد السلام هارون) نشر مكتبة الخانجي مصر: ١٣٨٤هـ.ق، ص١٤.

ومع كل ما تقدم، ومما أسهبنا في شرحه يتضح أن النبي الأعظم ﷺ كان على يقين بما أبطنوه من البغي والحقد والكراهية، تاركاً لعامل الزمن التكفل بأن يزيل عن وجوههم أقنعة المرية والخداع، وتعريتهم أمام الرأي العام، بعد أن أعيتهم الحيل، فقلبوا للنبي ظهر المجن، بعد أن هالهم اطراد نفوذه واتساعه وعدم استسلامه لضغوطهم، فأظهروا عداءهم للعلن.

ويبدأ الصراع الفعلي يتخذ أشكالاً متعددة، ووجوهاً متنوعة سوف نتعرض لها بشكل مسهب في هذا الفصل الآتي.

ب ـ ضربات في العمق اليهودي:

وقعت أنباء نتائج معركة بدر وقوع الصاعقة على يهود يثرب، وأخرجتهم عن صوابهم، وألقت الرعب في قلوبهم، وللوهلة الأولى عجزوا عن تصديق الأخبار المتداولة حول الخسائر البشرية والمادية الجسيمة التي مني بها المشركون على يد المسلمين، من استئصال وجوههم ورؤسائهم، والغنائم الكبيرة التي حصلوا عليها، من العدة والعتاد.

لقد كانت حرباً مصيرية ذهبت بها هيبة قريش وأدرك اليهود في هذه البداية العسكرية ما يعكر صفو عيشتهم، ولا بد من مواجهتها قبل أن يشتد عودها وتصلب قوتها، ويصعب هزيمتها، فتدرجوا في عملية التصدي فشرعوا بالمناورة، وتبعتها المضايقة والتربص ثم التحريض والتعريض، إلى أن وقعت الواقعة، عندها لم يعد بالإمكان تحمل صلفهم ومسلكهم المشين.

فأنزل بهم ضربات مؤلمة طالت مختلف رموزهم ممن مثلوا دوراً رئيساً في تحريك الشارع اليهودي ضد الإسلام، فانتدب رسول الله ﷺ للقيام بهذه الضربات، مجموعات خاصة تسللت إلى عمق الكيان اليهودي.

١ ـ مقتل كعب بن الأشرف:

استهدفت هذه العمليات العسكرية بداية رمزاً يهودياً كبيراً، عرف بنشاطه العدائي الموجه، انه كعب بن الأشرف أحد زعماء بني النضير، إذ لم يترك مناسبة تخلو من نفث سمومه بهجو النبي والتحريض عليه، وجرت بوصلة الأيام على غير ما اشتهى، فطاش عقله وفقد صوابه بما سمع عما جرى في بدر.

أرسل نبي الله محمد ﷺ بعد جلاء المعركة زيد بن حارثة بالبشارة عن قتل عتاة الكفر والمنافقين، فرأى كعب أسرى قريش مقرنين بالأصفاد، فقال لقومه: «ويلكم والله لبطن الأرض خير لكم من ظهرها اليوم»[(١)].

فخرج إلى قريش يحرض على رسول الله، ويبكي قتلى بدر ويرثيهم بشعره:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع

قتلت سراة الناس حول حياضه ... لا تبعدوا أن الملوك تصرع

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٨٤/ ١٨٥.

ويقول أقوام أذل بسخطهم ان ابن اشرف ظل كعباً يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا ظلت تسيخ بأهلها وتصدع[١]

وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، ولما عاد إلى المدينة انتدب رسول الله ﷺ لقتله نفراً من الأوس: محمد بن مسلمة وأبا نائلة أخويه من الرضاعة، والحارث بن أوس، فاجتمع إليه أبو نائلة وبدأ يحدثه ويسايره، ليغفله عن قصده، وتبرم من الوضع الاجتماعي، والبلاء الذي أصابهم بعد قدوم النبي إلى يثرب.

فاجتمع إليه وطلب منه أن يبيعهم طعاماً مقابل رهن السلاح. وافق كعب على العرض، ثم حضر أبو نائلة وجماعته من الأوس حتى انتهوا إلى حصنه، وكانت ليلة مقمرة، وتمكنوا من استدراجه، ثم ما لبثوا أن ضربوه بسيوفهم وقتلوه واستيقظ اليهود على قتله، فخافوا بما جرى لكعب، فليس فيها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه[٢].

٢ ـ قتل ابن سنينة:

فزعت اليهود ومن معها من المشركين بعد قتل كعب بن الأشرف، فجاؤوا إلى النبي ﷺ صباحاً قائلين له: قتل سيد من سادتنا غيلة بلا جرم، فذكرهم بهجوه في أشعاره، وتحريضه، وما ألحقه بالمسلمين من الأذى، ومن سيفعل ذلك سيلقى المصير نفسه.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٨٥.
(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٨٨/ ١٩٠.

وبناء على أمر رسول الله وثب حويصة بن مسعود على رجل من تجار اليهود يدعى سنينة من يهود بني حارثة فقتله[١].

قال رسول الله ﷺ من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه[٢]. أي ممن اشتهر منهم بالفساد والتحريض وإيذاء النبي والمسلمين، وهو حكم مقيد بتلك الفترة الزمنية المحددة، ويعني أشخاص معينين من وجوه اليهود الذين مارسوا دوراً مؤذياً جداً في تحريك العامة ضد الرسول الذي أصدر هذا القرار بحقهم، ودون إطلاقه. وهو أمر بديهي لا يمكن تعميمه والأخذ به دون إطلاق.

٣ ـ قتل أبي رافع:

في النصف من جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة تم تنفيذ عملية اغتيال أبي رافع اليهودي، ظهير كعب بن الأشرف في العداء للنبي ممن حزّب الأحزاب، وكانت الأوس قبل أحد قتلت ابن الأشرف، فاستأذنت الخزرج بقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق وهو في حصن خيبر، فأذن لهم، من باب التنافس القبلي بين البطنين في قتل اليهود.

فخرج إليه خمسة أنفار، أمر عليهم عبد الله بن عتيك، فأتوا داره ليلاً وقتلوه[٣].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص٥٨ والواقدي، المغازي، ج١ ص١٩١.
(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٩١.
(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٤٩٣/٤٩٩.

٤ ـ قتل العصماء بنت مروان:

كانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد تحت يزيد بن زيد الخطمي، ممن تأففت من قتل وجهاء المنافقين، وآذت النبي وحرضت عليه، وحين بلغ عمير بن عدي الخطمي قولها وتحريضها، نذر بأن يقتلها، فجاءها في الخامس والعشرين من شهر رمضان ليلاً، ثم وضع سيفه في صدرها وتخلص منها، ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي بالمدينة، فالتفت النبي ﷺ إلى من حوله فقال: «إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي»[١].

فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطمة وعز، بعد أن كان منهم رجال يستخفون بالإسلام خوفاً من قولهم بما رأوا من قوة الإسلام وعزته[٢].

ج ـ الصدام مع القبائل اليهودية:

أولا: جلاء بني قينقاع:

١ ـ بنو قينقاع:

هم من البطون اليهودية الكبرى التي استقرت في يثرب في سالف الزمان واستمرت إلى قيام الدعوة الإسلامية، وتتألف من عدة بطون أشهرها: بنو حجر وبنو ثعلبة وأهل زهرة وغيرهم.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٢/ ١٧٤.

(٢) م. ن.

وكانوا يسكنون في طرف المدينة[١]، ولهم سوق مشهور باسمهم، يقيمون في آطام وقلاع عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية، وكانت هناك سوقهم من أهم أسواق المدينة.

وكان لهم الاطمان اللذان عند منقطع الجسر على يمينك وأنت ذاهب من المدينة إلى العالية وإذا سلكت الجسر، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أن بني قينقاع هم رهط عبد الله بن سلام، وهم ذرية يوسف الصديق عليه السلام. وهي رواية تفرد بها السمهودي نقلاً عن البخاري، ولا يمكن التعويل عليها بشكل رئيسي، لعدم وجود قرائن تدعمها وتساندها.

وتتوزع أهم بطونهم في الرقعة الجغرافية التالية في محيط يثرب:

بنو حر عند المشربة التي عند الجسر، ولهم أطم يعرف بهم.

بنو ثعلبة وأهل زهرة بزهرة، وهي من أعظم قرى المدينة[٢].

كانوا يعملون في التجارة والصناعة وخصوصاً صناعة الحلي والأسلحة، إذ وجد المسلمون بعد هزيمتهم وفتح حصونهم غنائم كثيرة من السلاح وآلة الصاغة[٣].

فلم يكونوا يملكون أراضي زراعية يستثمرونها، ويعتمدون عليها في معيشتهم، بل يقيمون علاقات تجارية مع المسلمين، ويسيطرون

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، ج٢ ص٢٣.
(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٦٤.
(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٤٨١ والواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٩.

على عصب اقتصاد يثرب، من خلال تصريف إنتاج صناعتهم، فأقاموا في عمق المدينة وفي أحيائها الداخلية، فصاروا على تماس مع المسلمين، يعرفون عنهم أشياء كثيرة.

اشتهر عنهم غناهم بثرواتهم الهائلة التي جنوها من الموارد الإنتاجية التي اعتمدوها، فضلاً عن إمكاناتهم العسكرية الكبيرة، فكانوا أكثر اليهود شجاعة وقوة ومالاً، وتشكيلهم العسكري عبارة عن ٧٠٠ مقاتل، يملكون خبرة عسكرية واسعة، ومعنويات عالية.

يظهر ذلك جلياً في اللقاء الذي حصل بينهم وبين الرسول في سوقهم، فبعد معركة بدر ونتائجها الكاسحة لصالح المسلمين، تسربت معلومات أمنيّة للنبي تفيد بحياكة مؤامرة من جانب بني قينقاع ضد المسلمين، فتوجه الرسول إليهم يدعوهم إلى الإسلام كما ورد في توراتهم، ويحذرهم من الغدر والخداع والختال، ومن سوء العاقبة التي تنتظرهم في حال مخالفتهم، بأن يصيبهم كما أصاب قريش[1].

فكان الرد من جانبهم بجرأة وصلافة وتحدٍّ واستخفاف واستهزاء بقدرات المسلمين المتواضعة حسب زعمهم والتي لا ترقى إليهم، «إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنّا نحن الناس»[2].

ومن المحتمل أنهم كانوا يعولون على مساندة حلفائهم من الخزرج، لكنهم خسئوا بعد رفض الأكثرية الساحقة من الخزرج الوقوف إلى جانبهم.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ ص٥٥٢.
(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٤٧٩.

٢ ـ حلفاؤهم السياسيون:

تعتبر بطون الخزرج قبيل مجيء النبي إلى المدينة حلفاء أساسيين ليهود بني قينقاع، ويربطهم بهم مصير وقتال مشترك في أكثر من مواجهة خاضوها جنباً إلى جنب ضد اعدائهم.

وبنو الخزرج: يشكلون القطب الأساسي في التشكيل اليثربي الذي عرف فيما بعد باسم الأنصار (الأوس والخزرج) يتزعمهم رجلان ابن أبيّ وعبد الصامت، وهما في منزلة واحدة في الحلف مع بني قينقاع، إلا أن حادثة السوق التي أشعلت الحرب والتي ربما تكون مفتعلة من جانب اليهود، انقسم الخزرج على أثرها إلى قسمين، القسم الأول يشمل الأكثرية الساحقة وقفت إلى جانب القيادة الإسلامية وعلى رأسها عبد الصامت الذي تبرأ من أعمال اليهود «ما على هذا قرّرناهم»[١].

وحافظ ابن أُبيّ على موقعه لدى حلفائه، فأرسل إليهم، بأنه سيمدّهم بالرجال والعتاد عند اندلاع الحرب، لكنه أخفق في ذلك، وتمكن بشفاعته من الإبقاء عليهم أحياء بعد هزيمتهم عسكرياً[٢]، مصرحاً بفضلهم ووفائهم في الحروب الماضية بأنهم منعوه يوم الحدائق ويوم بعاث من الأحمر والأسود[٣].

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، طبعة دار صادر، لبنان: ١٣٨٥هـ . ق، ص١٣٧.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢ ص١٣٧/١٣٨ الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، ج٢ ط سنة ١٣٢٠هـ.ق، ص٢٠٨ الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٩/ ١٨٠.

(٣) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦/١٧٧.

ولعل قبول النبي بشفاعة ابن أُبيّ، الهدف منه تأجيل مرحلة الصدام مع المنافقين، كي يتسنى له القيام بالدور الرئيسي في مواجهة اليهود.

وهكذا نجد أن يهود بني قينقاع أول يهود حاربوا النبي وتجرأُوا على المسلمين وذلك في ١٥ شوال من السنة الثانية للهجرة، وبعد خمسة عشر يوماً وانجلى الموقف بإجلائهم وطردهم[١].

٣ ـ نقض العهد:

استقر يهود بني قينقاع في يثرب مع قبائل بني عوف وبني النجار، وأقام حولهم بطون الأوس والخزرج[٢].

لقد كانوا أشد اليهود غيظاً، وأكثر المتضررين من قدوم النبي إلى يثرب، يشاطرهم حقدهم وعداءهم حليفهم ابن أُبيّ الذي حمل لواء المعارضة ضد النبي واستمر في نفاقه وكرهه ومحاربته للإسلام، لقد أظهر يهود بني قينقاع البغي والحسد والحقد للدعوة الإسلامية، بعدما عجزوا عن تحقيق مآربهم في التخلص منها بكافة الوسائل، فلجأوا إلى نقض العهد والالتزام الذي كان يربطهم مع المسلمين، وينص على ان لا يحاربوا النبي وان لا يظاهروا عليه عدواً[٣].

لقد أدرك يهود بني قينقاع من خلال القراءة الموضوعية لمعطيات

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٤٧٩/ ٤٨٠ والواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦/ ١٧٩.
(٢) صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، بيروت: دار الجيل ١٩٧٥ ج٢ ص١٥.
(٣) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١، مصر، ط سنة ١٣٨٣هـ.ق، ص٤٠٨، الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، ج٢ ص٢٠٨ الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦/ ١٧٧.

المرحلة التي أعقبت معركة بدر وانتصار المسلمين، باطراد قوة المسلمين واتساع نفوذهم، وتمكنوا من تكوين صورة شاملة عنهم، مستشرفين ما يتهددهم من مزالق وعوائق، فتخلوا عن مرحلة الحذر والاستياء، ولجأوا إلى المواجهة المباشرة، ولعل غرورهم بنفسهم وقوتهم، دفعهم إلى التجرؤ على المسلمين من موقع السلطة والهيمنة السياسية والاقتصادية، واعتدادهم بأنفسهم انهم أصحاب الشوكة والمنعة.

إلا أن صبر النبي ﷺ عليهم، لم يكن مرده لحالة عجز في التصدي لهم، مع أنه يدرك مقدار خطورتهم، وما يملكون من مقومات المواجهة، ومعرفتهم بكثير من نقاط القوة والضعف عند المسلمين، بل يتحيّن الفرصة السانحة للانقضاض عليهم، تاركاً لهم الانزلاق في متاهات المعركة، فآثر المهادنة وأرسل إليهم وجمعهم في سوقهم ثم قال: «يا معشر يهود، أسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله، قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش.

فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من لقيت، انك قهرت قوماً أغماراً. وإنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا»[1].

٤ ـ سبب الصراع:

عقب هذا اللقاء المتوتر في سوق بني قينقاع، أبدوا سيلاً من

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦.

التهديد والوعيد، والاستعداد للمواجهة بكل عنجهية واستكبار، رافضين التحذيرات التي جاءهم بها النبي ﷺ، ساخرين من قدرة خصمهم، بكل وقاحة وجرأة وصلافة وتعجرف.

بينما هم على عداوتهم ونبذهم للعهد إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع، فجلست عند صائغ في حلي لها، فجاء رجل من يهود قينقاع من ورائها وعقد طرف ثوبها وهي لا تشعر، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا عليها.

فقام إليه رجل من المسلمين فقتله، وشدت اليهود عليه فقتلته[١].

فاجتمع بنو قينقاع، واستعدوا للمعركة، ولجأوا إلى حصونهم وآطامهم التي تضم ٧٠٠ مقاتل، إلا أن ردة فعل المسلمين جاءت بسرعة فائقة، أربكت العدو، وألقت الرعب في قلوبهم، ولم تترك لهم المجال في الاستفادة من أي مدد خارجي من المنافقين إذ عزلهم وحرمهم من نصرتهم فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فكانوا أربعمائة دارع، وثلاثمائة حاسر.

فنزلوا على حكم رسول الله، فأمر بهم فربطوا، وتدخل رأس المنافقين ابن أبيّ طالباً إخلاء سبيلهم، لأنه امرؤ يخشى الدوائر، فقال: «أربعمائة دارع وثلاثمائة حاسر، منعوني يوم الحدائق ويوم بعاث من الأحمر والأسود، أن تحصدهم في غداة واحدة؟»[٢].

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص١٧٦/١٧٧.

(٢) الواقدي، المغازي، ص١٧٧/١٧٨.

واستجاب النبي ﷺ لطلب ابن أبيّ، وأطلق سراحهم، وأجلاهم عن المدينة، وغنم رسول الله الأموال والسلاح، وخمس ما أصاب منهم، وتولى عبادة بن الصامت، أحد زعماء الخزرج إجلاءهم عن المدينة، فكان أوقع أثرٍ عليهم، فخرجوا إلى الشام[١]، ثم لحقوا بأذرعات[٢].

٥ ـ نتائج المعركة:

أهم النتائج التي ترتبت على الصدام المسلح مع يهود بني قينقاع هي:

ـ القضاء على خصم عنيد، هو من أشجع اليهود، وأكثرهم مالاً وعزة، والتخلص من عدو داخلي يرصد تحركات المسلمين في كل صغيره وكبيرة، والاستفادة الكبيرة من الغنائم والأموال والسلاح الذي حصل عليه المسلمون، فكانت دفعاً إضافياً وتشجيعاً وحماساً للمرحلة القادمة.

ـ حسم اللجاجة والادعاءات والترهات التي كانت تصدر منهم، بين الفينة والأخرى، وتعبر عن انتفاخات غير واقعية، أقرب إلى الخواء والهباء، مقابل استعداد عسكري مستمر من قبل القيادة الإسلامية الواعية المتمثلة في شخص النبي ﷺ الذي كان يرسل السرايا العسكرية الاستطلاعية لمراقبه خطوط الدفاع حول المدينة، كي لا يؤخذ المسلمين على حين غرة.

---

(١) الواقدي، المغازي، ١٧٩/ ١٨٠.

(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمان. الحموي، معجم البلدان، ج١ ص١٦٢.

كان من ثمار هذا التحضير والاستعداد العسكري، سرعة ردة فعل عسكرية مذهلة، من خلال حشد قوات كبيرة مؤهلة لخوض المعركة بكل شجاعة.

- حالت هذه الحادثة المفتعلة من قبلهم دون إشراك المنافقين العرب حلفاء يهود بني قينقاع، لأن المسألة ترتبط بالاعتداء على العرض والشرف للمرأة المسلمة، وهو أمر لا يتغاضى عنه على مستوى العادات والتقاليد العربية المتجذرة في القبائل والبطون العربية.

- استجاب النبي لطلب ابن أبيّ من أجل الحفاظ على الجبهة الداخلية ليثرب، وتوفير القوة والإمكانيات للمرحلة اللاحقة، والاستفادة من حالة الاستقرار هذه واستغلالها لصالح مجتمع المدينة، وأقصى ما قدمه ابن أبيّ لهم هو عدم استئصال شأفتهم، وإجلاؤهم عن المدينة إلى بلاد الشام.

- نجاح النبي في حصر المعركة مع يهود بني قينقاع، وعدم فسح المجال ليهود بني قريظة وبني النضير في التدخل، ربما يعود ذلك لأن بقية البطون اليهودية آثرت الحفاظ على العهد الموقع بينهم، ولعل الحادثة لم تكن سبباً وجيهاً لخوض غمار الحرب، ولم يكن لهم أي دور في إشعالها أو التخطيط لها. أو بسبب ما كان بينهم من عداوة. كانوا فريقين، منهم بنو قينقاع، ولفهم حلفاء الخزرج والنضير وقريظة ولفهم حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرج بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع

الأوس، يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان»[١].

ثانيا: الصدام مع بني النضير:

١ ـ مكانتهم الاجتماعية:

بنو النضير إحدى أكبر البطون اليهودية التي استقرت في يثرب، وكانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية عظيمة، تميزهم عن سائر اليهود، إذ إن نسبهم يعود إلى هارون النبي عليه السلام[٢].

أما اليعقوبي فيشير إلى أصلهم العربي، وهم فخذ من جذام، إلا انهم تهودوا، ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به[٣].

وبلغ عدد رجالهم ألفاً، وعندما اجلوا عن يثرب، حمل نساؤهم وصبيانهم على ستمائة بعير[٤].

وهم أهل القوة والمنعة والسلاح، ومكانتهم لدى القبائل ظاهرة جلية، مثلاً: إذا قتل نضيري أحد بني قريظة، فإنه يدفع نصف الدية،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٨٨/١٨٩.

(٢) المسعودي، التنبيه والاشراف، مصر: ط سنة ١٣٥٧هـ.ق، ص٢١٣ وابن دحلان، السيرة النبوية، ج١، ط دار المعرفة، لبنان، ص٢٦٠ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، تفسيره، ج١، لبنان: ١٣٨٧هـ . ق، ص١٦٨.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج٢ ص٤٩.

(٤) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٧٤. وابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت دار إحياء التراث العربي (د.ت) ج٢ ط ليدن، ص٢٥٨ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج٢ المؤسسة العربية للطباعة والنشر، لبنان، ص٧٢.

أما إذا كان المقتول نضيرياً فإنه يدفع كامل الدية له[١].

وكان أشراف بني النضير: بنو الحقيق، وآل حيي بن أخطب[٢].

وأقاموا على بعد ميلين من المدينة، وسار إليهم المسلمون سيراً على الأقدام في حربهم لقرب المسافة[٣].

٢ ـ سكنهم:

كان بنو النضير ينزلون في ضاحية يثرب المدينة من جهة الغرب[٤].

أما ابن كثير فيقول: كانت منازل بني النضير شرقي المدينة، على أميال منها[٥]. وكانوا يسكنون في قرية يقال لها زهرة[٦].

وكانوا بالقرب من بني خطمة، ومنازل بني خطمة كانت بالعوالي شرقي مسجد الشمس[٧]. وكانت منازلهم بناحية الغرس وما والاها مقبرة بني خطمة اليوم، فكانوا حلفاء بني عامر[٨].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، دار إحياء التراث العربي، لبنان: ١٣٧٩هـ . ق، ج٣ ص١٩٤، الشوكاني، فتح القدير (تفسير) ج٢ نشر دار المعرفة، لبنان، ص٤٣/ ٤٤ الدر المنثور، ج٢ ص٢٨١/ ٢٨٤.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص٢٩٩.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج١٨ ص١١.

(٤) طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج٢ ص١٥.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، منشورت دار الفكر، ص٣١٣.

(٦) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٦٠، بحار الانوار، ج٢٠ ص١٦٤، العامري، بهجة المحافل، ج١نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الحجاز، ص٢١٤.

(٧) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٩٨.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ ط ليدن، ص٢٧٨، المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢١٣.

ومما يؤكد ذلك، انه بعد اندلاع الحرب بين المسلمين وبني النضير، وحصار النبي لهم، ضرب خيمته في فضاء بني خطمة، فأصابتها اليهود بالسهام، فحولت إلى مسجد «الفضيح»! وعندما قطعت رؤوس بعض اليهود المتسللين، رميت في آبار بني خطمة(١).

ويتركز سكنهم في تلك المنطقة التي تعرف بالبويرة، التي كان لها شأن كبير في عملية المواجهة العسكرية، فأثناء حصار المسلمين لهم، لجأ النبي إلى حرق نخلهم في البويرة، فاستشاطت قريش غيظاً لما أصاب اليهود. وقد كانت قريش تحرض يهود بني النضير على قتال الرسول، وقال حسان في ذلك شعراً يعير به قريش ومن ذلك:

وهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أي أرض قد تضير(٢)

٣ ـ أسباب الصراع:

تعتبر غزوة بني النضير من الأحداث الكبرى التي تلت عملية إجلاء يهود بني قينقاع عن يثرب، ولم تكن منفصلة في أسبابها وأحداثها ونتائجها عما يجري في الجزيرة العربية من تحركات واستعدادات موجهة لهدف خوض غمار الحرب ضد تيار الإسلام المتصاعد، والحد من امتداداته واتساع نفوذه.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٧١/ ٣٧٢.
(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص٢٩٨.

لقد كتب كفار قريش إلى بني النضير يحرضونهم على حرب النبي ويهددونهم بأنهم سوف يتعرضون لهم، إذا ما اتخذوا هذا الأمر بشيء من العناية والاهتمام، إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا. ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم ـ وهو الخلاخل ـ فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر[١] بالنبي والتخلص منه غاية طموحهم ومرامهم.

لقد ذكر المؤرخون أن سبب غزوة بني النضير، هو ما أقدم عليه عمرو بن أمية الضمري من قتل رجلين من بني عامر، ولم يكن يعلم انه بينهم أمان وعهد، وذلك أن عامر بن الطفيل بعث إلى رسول الله يطلب منه دية القتيلين. فسار إلى بني النضير يستعينهم في ديتهما، وكانوا حلفاء لبني عامر.

ولما كانت التقاليد العربية التي توشك أن تكون قانوناً ملزماً فيما يتعلق بالدية، والالتزام بها، وهو أن تشترك قبيلة القاتل وأحلافها إذا كان لها أحلاف في الدفع والغرامة[٢]. وبناء عليه، وحسب الأعراف جاءهم رسول الله ﷺ إلى ناديهم على أن يعينوه في ديتهما، «فقالوا نفعل يا أبا القاسم، ما أحببت»[٣].

فأرادوا الغدر به، فجاءه خبر السماء بما همّوا به[٤]. وأما

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص٢٩٨.
(٢) طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج٢ ص٣٥.
(٣) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٦٤.
(٤) م. ن. ص٣٦٥.

الطريقة التي اعتمدوها في عملية الغدر تعددت أساليبها واختلفت وقائعها.

لقد خلا بعضهم إلى بعض، واتفقوا على أن يطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته، وأوكلت المهمة إلى عمرو ابن جحاش، وتدخل سلام بن مشكم أحد زعمائهم محذراً من فعلتهم مقسماً بالله بأنه سيعلم بغدرهم، وسيستأصل شأفتهم، وأن لا تقوم لهم قائمة، ونهض رسول الله ﷺ مسرعاً كأنه يريد حاجة، وتوجه إلى المدينة.

ثم أمر محمد بن مسلمة بالذهاب إليهم وإنذارهم بالخروج مع إعطائهم مهلة أقصاها عشرة أيام[١].

أما السمهودي فيذكر سبباً آخر لغدرهم: بعثوا إلى النبي أن اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك، ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، فاشتمل اليهود على الخناجر، وأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار تعلمه بأمرهم، فأخبر أخوها النبي بذلك[٢].

لقد رحبوا به ووافقوا على ما جاءهم به، ثم أعدّوا لاغتياله لكنهم سرعان ما ندموا بعد أن أدركهم قراره في اليوم التالي بإجلائهم.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٦٧.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص٢٩٨، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٦٢، السيرة الحلبية، ج٢ ص٢٦٣/٢٦٤.

٤ ـ قرار الإجلاء:

لقد أدركوا بداية النهاية لوجودهم، لأنهم تآمروا على قتل النبي ﷺ، وتصفيته الجسدية، وينهون بذلك كل مشاكلهم ومصدر قلقهم، وتلقوا الإنذار من محمد بن مسلمة بوجوب مغادرتهم خلال فترة محددة، ولم يكونوا يتوقعون أن يوكل الرسول هذه المهمة إلى حلفائهم، وعبروا عن استيائهم لابن مسلمة، فأجابهم: «تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهود»[١].

٥ ـ الاستعداد للمعركة:

بعد أن بلّغوا قرار إجلائهم على يد أحد زعماء الأوس محمد بن مسلمة حلفائهم بالأمس، تداعى ابن أبيّ لتقديم المساعدة لهم، وشجعهم على رفض الإنذار، وأغراهم بالمواجهة، وبدأوا يستعدون لها، فلجأوا إلى حصونهم وآطامهم وشحنوها بالسلاح والمقاتلين، والطعام والماء، لحرب طويلة. فمكثوا أياماً يتجهزون، وأسرع رسول ابن أبيّ إلى اليهود يبلغهم نصرته: لا تخرجوا من دياركم وأموالكم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم حتى يموتوا عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان.

وأرسل ابن أبيّ، طلب مساعدة قريظة لبني النضير، فرفض طلبه وأعلموه ببقائهم على العهد، فيأس منهم، واستعدوا للقتال سنة[٢].

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٦٨، ابن حبان البستاني، الثقات ج١ الهند: ١٣٩٧هـ. ق، ص٢٤١ والطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٥٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٦٨، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٩٠/١٩١.

وسار رسول الله إلى فضاء بني خطمة، فصلى العصر فيه، وبدأت المناوشات عندما قام اليهود من أعلى جدران حصونهم يرمون المسلمين بالنبل والحجارة، فبلغت نبلهم قبة الرسول، أي مكان وجوده في ساحة المعركة فأمر بتحويلها إلى مسجد الفضيح بعيداً عن متناول رميهم[١].

٦ ـ نتائج متوقعة:

قبل أن تحتدم المعركة، أعلن أحد أحبار اليهود ويدعى كنانة بن صويراء نتائج المعركة سلفاً، مقسماً بالتوراة على حلول العاقبة فيهم، فلا تخدعوا أنفسكم، «والله انه لرسول الله، وانه لآخر الأنبياء، وإن كتبنا والذي درسنا في التوراة التي لم تغير ولم تبدل، أن مولده بمكة ودار هجرته بيثرب، وصفته بعينها ما تخالف حرفاً مما في كتابنا، وما يأتيكم به أولى من محاربته إياكم، ولكني أنظر إليكم ظاعنين يتغاضى صبيانكم، قد تركتم دوركم خلوفاً وأموالكم»[٢].

وحذر سلام بن مشكم قومه من الإفراط في الاعتماد على ابن أبيّ للوقوف إلى جانبهم، ومن مغبّة تخلفه عند اشتباك الأسنّة، وإنه سيعمل على توريطكم كما فعل مع بني قينقاع حلفائه بالأمس، ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الأوس في حروبهم كلها. وهو لا يهودي ولا مع محمد. وأبى قومه إلا الإصرار والإيغال في عداوة النبي وخوض المعركة.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٧١.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٦٥ ـ ٣٦٦.

٧ ـ الصدام العسكري:

بدأ حصار النبي المسلح لبني النضير بعد سرية بئر معونة، بعد غزوة بدر بستة أشهر في السنة الرابعة للهجرة[١].

بعد أن فشلت كل محاولات التهدئة، ورفض بنو النضير إنذار النبي لهم، واستعدوا للمعركة بكل قوة وطاقة، وأحكم الحصار، وحمل الإمام علي عليه السلام لواء المسلمين. وكان رجل من اليهود يقال له «عزوك»! مشهوراً برمي النبل فأصابت بعضها مقر النبي العسكري، فلما جنَّ الليل، فقد الناس علياً فأجابهم النبي: إنه في بعض شأنكم. فلم يلبث أن جاءه برأس عزوك، وأخبر النبي بتسلل بعض اليهود،

(١) تاريخ الخميس، ج١ ص٤٦٠، العيني، عمدة القارىء، ج١٧ نشر دار إحياء التراث ونشر دار الفكر، لبنان، ص١٢٦، العامري، بهجة المحافل ج١، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة: الحجاز، ص٢١٣، دحلان، السيرة النبوية، ج١ ص٢٦٠، فتح القدير، ج٥ ص١٩٨، البلاذري، فتوح البلدان، ج١ تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، وط السعادة، مصر: ١٩٥٩م، ص١٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج١ مؤسسة الأعلمي لبنان: ١٣٩٠هـ.ق، ص٩، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج٢، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، لبنان، ص٧١، الطبرسي، مجمع البيان، ج٩ دار إحياء التراث العربي، لبنان: ١٣٧٩هـ . ق، ص٢٥٨، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري مصر (بولاق): ١٣٠٠هـ . ق، ص: ٩، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٧ ص٢٥٣ ـ ٢٥٥، السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ط سنة: ١٣٧٧هـ.ق، ص١٨٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، مطبعة المدني، القاهرة، وقسم المغازي، ط دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٤٠٥هـ.ق، ص١١٩، البخاري، صحيحه، ج٣، ط سنة: ١٣٠٩هـ.ق، ص١٠، أبو زيد القيرواني، الجامع، المكتبة العتيقة بتونس، مؤسسة الرسالة، لبنان: ١٤٠٦هـ.ق ص٢٧٨ ـ ٢٧٩، مغلطاي، السيرة، مصر: ١٣٢٦هـ.ق، ص٥٣، السهيلي، الروض الآنف، ج٣ شركة الطباعة الفنية المتحدة، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة، مصر، ص٣٥٠، القسطلاني، المواهب اللدنية، ج١، دار المكتبة العلمية، ص١٠٤.

فبعث معه عشرة من المسلمين، فأدركوهم قبل أن يدخلوا حصونهم، وأتوا برؤوسهم وألقيت في بعض آبار بني خطمة[١].

وبعد هذه الضربات العسكرية المحدودة، لجأ النبي ﷺ إلى استخدام سلاح الأرض المحروقة لضرب اقتصادهم، وتكبيدهم المزيد من الخسائر، فأمر رسول الله بقطع نخلهم والتحريق فيه[٢]. وذلك لأجل حرمانهم من إمكانات مادية واقتصادية في تلك المواجهة العسكرية المصيرية، وهو سلاح بالغ الأهمية في الضغط وفرض الخيارات الإسلامية.

فقالوا: يا محمد إنك كنت تنهى عن الفساد، وتعيب من صنعه،

---

(١) المجلسي، محمد باقر (١١١١هـ)، البحار، ج٢٠، ط سنة: ١٤٠٣هـ.ق، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، وط إيران الحجري للمجلد الثامن، وط إيران: ١٣٨٥هـ.ق، ص١٧٢ ـ ١٧٣، ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ط مصطفوي، المطبعة العلمية، إيران، قم، ج١ ص١٩٦/١٩٧، الإربلي، كشف الغمة، ج١، المطبعة العلمية، إيران: ١٣٨١هـ.ق، ص٢٠١، السيرة الحلبية، ج٢ ص٢٦٥.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، مصر: ١٣٨٧هـ.ق، ص٢٣٧/٢٣٨، جامع البيان، ج٢٨ ص٢٣، البيهقي، دلائل النبوة، ط سنة ١٣٩٧هـ.ق، وط دار الكتب العلمية، لبنان: ١٤٠٥هـ.ق ص٤٢٩، البخاري، صحيحه، ج٣ ص١١، الماوردي، الاحكام السلطانية، ط دار الكتب العلمية، لبنان، ص٦٤، فتح الباري، ج٧ ص٢٥٤، ابن ماجة، سننه، ج٢، ط سنة ١٣٧٣هـ.ق، ص٩٤٨، الطبرسي، جوامع الجامع، إيران: ١٣٧٩هـ.ق، ص٤٨٦، مسلم، صحيحه، ج٥، مصر: ١٣٣٤هـ.ق، ص١٤٥، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢ ص١٧٣، الدر المنثور، ج٦ ص١٨٨، الكتاني، التراتيب الادارية، لبنان، ج١ ص٣١٠، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٦١، زاد المعاد، ج٢ ص٧١، الزمخشري، الكشاف ج٤، لبنان، ص٥٠١، دحلان السيرة النبوية، ج١ ص٢٦١، تفسير الصافي، ج٥ ص١٥٤، أبو داود، سننه، ج٣، نشر دار إحياء السنة النبوية، ص٣٨، الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٩، إيران، ص٢٨٣، الثقات، ج١ ص٢٤٢.

لِمَ تقطع النخل؟ فأنزل الله حول هذه القضية: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[١].

فلما قطع المسلمون أجود أنواع النخل «العجوة» شق نساء اليهود الجيوب، وضربن الخدود، فقال رسول الله ﷺ: ما لهن؟

فقيل: يجزعن على قطع العجوة. فلما صِحنَ صاح بهن أبو رافع سلام: إن قطعت العجوة هاهنا، فإن لنا بخيبر عجوة.

قالت عجوز: خيبر، يصنع بها مثل هذا!

فقال أبو رافع: فض الله فاك! إن حلفائي بخيبر عشرة آلاف مقاتل. فبلغ رسول الله ﷺ قولها فتبسم[٢].

وفي المحصلة، ضرب هذا الحصار المحكم، مع ما تبعه من إجراءات من قتل المتسللين، وضرب مورد معيشتهم، بقطع النخل وإحراقها، وكان الأحرق لقلوبهم وأشد غيظاً، أجبرهم في النهاية على إعلان الاستسلام وفق شروط نبي الإسلام وهي: ترك ديارهم، وتسليم سلاحهم، وان لا يخرجوا إلا ما حملت الإبل.

فتخلوا عن زهوائهم وكبريائهم وخيلائهم، واندحروا مذعورين. وكان حصارهم خمسة عشر يوماً، وتحملوا على ستمائة بعير[٣].

---

(١) قرآن كريم، سورة الحشر، الآية ٥.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٧٣، ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج٢ ص١٩٠/١٩١.

(٣) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢١٣، ابو نعيم، دلائل النبوة، لبنان: ١٣٩٧هـ.ق، ص٤٢٩، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٦١، دحلان السيرة النبوية، ج١ ص٢٦١، ابن سعد، الطبقات، ج٢ ص٥٨، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٥٣.

وقال بعض المؤرخين استمر حصارهم ست ليالي فقط[١].

٨ ـ الاندحار:

أوعز النبي إلى محمد بن مسلمة مهمة إنذار وإخراج يهود بني النضير من بلادهم، وهذا الاختيار لم يكن متوقعاً من جانب اليهود، فعبروا عن استيائهم وتعجبهم من ذلك، وما له من مدلول إيحائي يزيد من آلامهم، ويضاعف كمدهم وحزنهم، وينهي كل بارقة أمل حول الجماعة المنتظرة في السعي إلى التعاطف معهم أو الميل إليهم، وقد عبروا عن ذلك: «ما كنّا أن يأتي بهذا رجل من الأوس! (الأوس حلفاء النضير) فقال محمد: تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهود، فقالوا نتحمل»[٢].

وأحرز البعض منهم أموالهم ودماءهم واعتنقوا الإسلام[٣].

٩ ـ هدم بيوتهم:

حصلت عملية إجلاء بني النضير بشكل هادئ، دون أي إشكال أو اعتداء أو تعكير أجواء، التزاماً مشرفاً من قبل المسلمين بقرارات القيادة العليا، مما يدل على مدى قوة حضور هذه القيادة في ذهن المجتمع الإسلامي.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص١٩٠، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ١٩٨٨ م، ص٢١٣، ابن دحلان السيرة النبوية، ج١ ص٢٦١، زاد المعاد، ج٢ ص١١٠، السيرة الحلبية، ج٢ ص٢٦٥، تفسير القرآن العظيم، ج٤ ص٣٣٢، ابن الوردي، تاريخه، ج١، العراق: ١٣٨٩هـ.ق، ص٥٩.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٥٢/٥٥٣.

(٣) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٧٣.

وفي المقابل ثارت كوامن حقدهم، فلجأ اليهود إلى عملية تخريب بيوتهم بأيديهم مبالغة في غيظهم، كي لا يستفيد منها المسلمون، فيعمدون إلى نزع ما استحسن من خشبها.

قال ابن زيد: «كانوا يقلعون العمد، وينقضون السقف، وينقبون الجدر، وينزعون الخشب حتى الأوتاد، ويخربونها حتى لا يسكنها المؤمنون حسداً وبغضاً»[١].

فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعير، فينطلق به[٢].

وقد علق ولفنسون على أعمال اليهود هذه بالآتي:

هدم نجاف البيوت يتعلق بعقيدة تلمودية معروفة، هي أن كل يهودي يعلق على نجاف داره صحيفة تشتمل على وصية موسى لبني إسرائيل: أن يحتفظوا بالإيمان بإله واحد، ولا يبدلوه ولو عذبوا وقتلوا. فاليهود حين ينزحون عن منازلهم يأخذونها معهم، وهي عادة متبعة عند اليهود إلى يومنا هذا[٣].

ونزل القرآن بذلك، وما ظن اليهود بأن يخرجوا، وقذف في

---

(١) ابن زيد، غرائب القرآن، ج٢٨، ص٣٥، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٦٢، الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، ج٢ ص٢٦٦، التفسير الكبير، ج٢٩ ص٢٨٠/٢٨١، الخازن، لباب التأويل ج٤، مصر: ١٣١٧هـ.ق، ص٢٤٥، دحلان، السيرة النبوية، ج١ ص٢٦٢.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٥٣/٥٥٤.

(٣) ولفنسون، اليهود في بلاد العرب، ص١٣٨.

قلوبهم الرعب، واعتقدوا أن مناعة حصونهم ستحميهم، فانهاروا أمام المواجهة، وانهزموا نفسياً، وتهاوت قلوبهم وأفئدتهم.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[١].

١٠ ـ وجهة خروجهم:

لم تكن وطأة الأيام وحدها، تعاقب يهود بني النضير، بل وسلوكهم المشين أيضاً تجاه المسلمين وغدرهم ونكثهم للعهد، وتآمرهم على قتل النبي، فكانت النتيجة: اندحارهم وإجلاؤهم جزاء وفاقاً، فارتحلوا عن يثرب بصورة المكابر، فأظهروا كل زهو وخيلاء وعنجهية، تقرع خلفهم طبول الرحيل، وحملت النساء والصبيان، وشقوا سوق المدينة، والنساء في الهوادج «عليهن الحرير والديباج، وقطف الخز الخضر والحمر، وقد صف لهم الناس، فجعلوا يمرون قطاراً في أثر قطار، فحملوا على ستمائة بعير... ومروا يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير، وعلى النساء المعصفرات وحلي الذهب، مظهرين ذلك تجلداً... ونادى أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، ورفع مسك الجمل وقال: هذا مما نعده لخفض الأرض ورفعها»[٢].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحشر آية ٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ج١ ص٧٤.

فبنو النضير الأكثر أموالاً بين يهود الجزيرة العربية، والأحسن حالاً، وكانوا ألف رجل، ولهم القوة والسلاح والكراع[1].

١١ ـ تعاطف ظاهر غير مألوف:

إن بعض الشخصيات الإسلامية، التي ينظر إليها بالكثير من عين الرضا والاحترام، والتبجيل والتقدير لم تخف حسرتها وعبرتها عما حصل ليهود بني النضير عند إجلائهم، فأدلوا بدلوهم بمزيد من مشاعر الحزن والأسى، نادمين على ما حلّ بهم، متأسفين لما جرى لهم.

فعبّروا عن شططهم بالحنو على الماضي القريب المرتبط بمنافعهم الشخصية الآنية، وواقع معاشهم، وملذاتهم المحدودة التي فقدوها برحيلهم، فظهرت على محياهم آثار الامتعاض، وعبارات الندم على الفراق، ومرارة العيش بعد فراق الأحبة.

قال حسان بن ثابت وهو يراهم يرحلون: أما والله لقد كان عندكم لنائل للمجتدي، وقرى حاضرة للضيف وسقياً للمدام، وحلم على من سفه عليكم، ونجدة إذا استنجدتم.

قال الضحاك بن خليفة: واصبحاه، نفسي فداؤكم! ماذا تحملتم به من السؤدد والبهاء، والنجدة والسخاء؟.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، لبنان، ص١٧٦/١٨٧، الشيخ الطوسي، التبيان، ج٣ ص٥٢١، الطبرسي، مجمع البيان، ج٣ ص١٩٤، الشوكاني، فتح القدير، ص٤٣/٤٤، الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١ ص٣٢٥، الخازن، لباب التأويل، ج١ ص٤٦٨، السيوطي، الدر المنثور، ج٢ ص٢٨١/٢٨٣، تفسير البيان، ج١ ص٤٧٢، القمي، تفسيره، ج١ ص١٦٨/ ١٦٩.

يقول نعيم بن مسعود الاشجعي: فدى لهذه الوجوه التي كأنها المصابيح ظاعنين من يثرب.

من للمجتدي الملهوف؟

ومن للطارق السغبان؟

ومن يطعم الشحم فوق اللحم؟

ما لنا بيثرب بعدكم مقام[١].

وعلى كل حال نستنتج مما تقدم عمق ومتانة أواصر العلاقات التي كانت سائدة بين اليهود حلفاء الأمس وبعض الشخصيات العربية النافذة التي هالها ما آلت إليه أمورهم والمصير الذي واجهوه، فأسفرت عن مشاعرها وعواطفها ومواساتها، مما لا ينسجم مع حيثيات القرار الإسلامي القاضي بالتخلص من خطرهم وأحابيلهم.

مهما يكن من أمر، لا بد من الإشارة إلى وجهة سيرهم نحو المكان الذي قصدوه بعد إخراجهم، وما تذكره المصادر التاريخية في هذا الصدد، يفيد بتعدد الأماكن والمحطات التي اتجهوا إليها واستقروا فيها. فتفرقوا في مناطق شتى، البعض منها بهدف الإقامة الدائمة، وآخرون بهدف الإقامة المؤقتة ثم الارتحال فيما بعد خصوصاً إلى تلك المناطق القريبة من يثرب، ويتجمع فيها اليهود كفدك[٢]. ووادي

---

(١) الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٧٥.

(٢) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢١٣، القمي، تفسيره، ج٢ ص٣٥٩، المجلسي، البحار، ج٢٠ ص١٧٠، الصافي، تفسيره، ج٥ ص١٥٤.

القرى[١]، وبعض الأسر ذات الشأن قصدت خيبر[٢].

فلما نزلوها دان لهم أهلها، ربما أملاً في العودة إلى الأرض التي تركوها عنوة مكرهين، والاستعداد لخوض غمار الحرب في المرحلة المقبلة، أما الجزء الأكبر من هذه البطون اليهودية رحل إلى مناطق بعيدة كالحيرة[٣]، وأريحا[٤]، وأذرعات في الشام[٥].

وبعد كل ما تقدم ندرك أن خروج بني النضير في السنة الرابعة للهجرة جاء كردة فعل مباشرة على المحاولة الفاشلة التي قاموا بها للتخلص من رأس السلطة الإسلامية، والتي تمثل خرقاً فاضحاً للعهود المعقودة بين الطرفين.

وطال أمد الحصار، ونشط ابن أبيّ لتقديم المساعدة لكنه عجز، وتخلى بنو قريظة عن مساعدتهم تمسكاً بالعقد والعهد، وفي النهاية

---

(١) تفسير البيان ج٤ ص٣١٣، المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢١٣.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٥٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص١٩١، مرآة الجنان ج١ ص٩، ابن حبان البستي، الثقات، ج١ ص٢٤٣، السيوطي، الدر المنثور، ج٦ ص١٨٨، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٨.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج٩ ص٢٥٧، المجلسي، البحار، ج٢٠ ص٢٠٩، العاملي، بهجة المحافل، ج١ ص٢١٥، الخازن، لباب التأويل، ج٤ ص٢٤٥، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١ ص١٩٧.

(٤) النيسابوري، غرائب القرآن، ج٢٨ ص٣٣، الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٩ ص٢٧٨، الزمخشري، الكشاف، ج٤ ص٤٩٨/٤٩٩.

(٥) السيوطي، الدر المنثور، ج٦ ص١٨٨/١٨٩، جامع البيان، ج٢٨ ص١٩/٢٠، حياة الصحابة، ج١، مصر: ١٣٩٢هـ.ق، سوريا: ١٣٩١هـ.ق، ص٣٩٨، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٥٣/٥٥٤، الواقدي، المغازي، ج١ ص٣٨٠، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤ ص٢١٣، الشوكاني، فتح القدير، ج٥ ص١٩٩، اليعقوبي، تاريخه، ج٢ ص٤٩.

خرجوا مقهورين بعيداً عن نفوذ المسلمين. وسنعمد فيما يلي إلى دراسة الحيثيات التي كانت وراء إخراج بني قريظة عن يثرب بعد قينقاع والنضير.

ثالثا: الصدام مع بني قريظة:

١ ـ من هم بنو قريظة؟

هم أخوة بني النضير، من ولد هارون بن عمران عليه السلام[١].

وهم عرب، فخذ من جذام، يقال إن تهودهم كان في أيام عاديا، أي السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة، فنسبوا إليه[٢].

منازلهم بالعالية على وادٍ يقال له مهزور[٣]. حيث مسجد بني قريظة، وهو شرقي مسجد الشمس، بعيد عنه بالقرب من الحرة الشرقية، على باب حديقة تعرف بحاجزة[٤]. عند حرة واقم ـ وهي حرة المدينة الشرقية، وتسمى أيضاً حرة بني قريظة، لأنهم كانوا بطرفها القبلي[٥].

وفي السنة الخامسة الهجرية نقضوا عهدهم مع النبي، وأرادوا الغدر به، أثناء حصار الأحزاب ليثرب، فحاصرهم بعد جلاء الأحزاب

---

(١) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢١٣.
(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢ ص٥٢.
(٣) السمهودي، وفاء الوفاء، ج١ ص١٦١.
(٤) م. ن. ج٣ ص٨٢٣.
(٥) م. ن. ج٤ ص١١٨٨.

مدة خمس وعشرين ليلة[١]. وقيل خمسة عشر يوماً[٢]. ثم نزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وسبى النساء والصبيان، وغنم السلاح والمال والماشية، ثم قسمها على المسلمين الذين شاركوا في الحصار، بعد أن أخرج الخمس منها[٣].

وخرج إليهم النبي ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل[٤]. يتقدمهم حامل راية المسلمين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٥].

وكان رجال بني قريظة ما بين ستمائة إلى سبعمائة[٦].

وابن عباس يقول: كانوا سبعمائة وخمسين[٧].

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ج٤ ص١٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣ ص٢٤٦، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٩٤، دحلان، السيرة النبوية، ج٢ ص١٤، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١ ص٢٥١، العامري، بهجة المحافل، ج١ ص٢٧٥، القسطلاني، المواهب اللدنية، ج١ ص١٥، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج١ ص٥٨٣.

(٢) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٩٤، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٧ ص٣١٨، المقريزي، إمتاع الاسماع، الطبعة الثانية، ج١ ص٢٤١، ابن سعد، الطبقات، ج٢ ص٧٤.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢ ص١٨٧، العامري، بهجة المحافل، ج١ ص٢٧٦، دحلان، السيرة النبوية، ج٢ ص٣٣٩، المقريزي، امتاع الاسماع، ج١ ص٢٥٠.

(٤) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٩٣، النويري، نهاية الارب، ج١٧، مصر: ١٩٨٠م، ص١٨٨، دحلان، السيرة النبوية ج٢، ص٣٣٣.

(٥) ابن الوردي، تاريخه، ج١ ص١٦٢، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢ ص١٨٥، الصالحي الشامي، سبل الهدى والارشاد، ج٥، مصر، ص١١، نور اليقين ص١٦٦، ابن حبان البستي، الثقات، ج١ ٢٧٤، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج٢، لبنان، ص٦٩.

(٦) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٥١٨، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ ص٧٥، العامري، بهجة المحافل، ج١ ص٢٧٥، القسطلاني، المواهب اللدنية، ج١ ص١١٧، دحلان، السيرة النبوية، ج٢ ص١٨.

(٧) الحلبي، السيرة الحلبية، ج٢ ص٣٣٨، الواقدي، المغازي، ج٢ ص٥١٨، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج١ ص٢٤٥، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج٢ ص٧٤.

وأما ما غنم من السلاح، فكان كبيراً جداً، ألفاً وخمسمائة سيف، وثلاثة مائة درع، وألفي رمح وخمسمائة ترس[١].

استفاد المسلمون من بيعها ونتاجها، فهيأت لهم مالاً وفيراً، كان بمثابة دعم مالي في أمس الحاجة إليه، ودافعاً هاماً لاستمرار الجهاد ضد من بقي من اليهود المنتشرين في مختلف أرجاء الجزيرة العربية.

وخلد شاعر الرسول حسان بن ثابت تلك الهزيمة التي لحقت ببني قريظة في أبيات من الشعر نذكر منها:

لقد لقيت قريظة واسها وما وجدت لذل من نصير

أصابهم بلاء كان فيه سوى ما قد أصاب بني النضير

فهم صرعى تحوم الطير فيهم كذاك يدان ذو العند الفجور[٢]

مهما يكن من أمر، لا مناص من الإجابة عن جملة أسئلة تفيد في إيضاح الصورة في قضية بني قريظة. حول الأسباب التي كانت وراء غدرهم؟ وما هي الخطوات التي اعتمدت تجاههم؟ وكيف جرت عملية طردهم؟ وما هي النتائج التي ترتبت على ذلك؟.

لا يمكن التغاضي عن أهمية معركة الأحزاب وصلتها الوثيقة باليهود بشكل عام، وببني قريظة بشكل خاص، ودورهم الفعال والناشط في تحزيب الأحزاب، وتجميع الحشود من كل صوب واتجاه، بما لم

(١) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٩٦، دحلان، السيرة النبوية، ج٢ ص١٧، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج١ ص٢٤٥ ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج٢ ص٧٤.
(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣ ص٢٥٩.

يسبق له مثيل في تاريخ الجزيرة العربية. وما قام به بنو قريظة، بعد اشتعال الحرب، من نقض العهد، والانقلاب على المسلمين، يعبر عن رواسب وأحقاد، ونزعة شر متأصلة لدى عتاة مردوا على النفاق والخداع والختال، وشتى ألوان وأساليب الشر والفساد.

٢ ـ مرحلة الصِدام:

كان اشتراك بنو قريظة في النزاع المسلح الدائر بين قريش والمسلمين في حرب الخندق السبب المباشر لإنهاء حالة السلم والأمن والاستقرار القائم بين الطرفين، وتمكنت قريش من إغوائهم وجرهم إلى المعركة التي لم تكن نتائجها في صالحهم، وفي جانب قريش وأحلافها من كافة البطون العربية واليهودية، يتطلعون إلى أهداف محددة ومعلنة، كإنهاء الدعوة الإسلامية، واستئصال شأفة المسلمين، وإنهاء وجودهم وكيانهم المصطنع الذي ما انفك يلحق عميم الضرر بمصالح اليهود وقريش الاقتصادية والسياسية.

ففي السنة الخامسة للهجرة جرت معركة الأحزاب[١].

---

(١) ابن الوردي، تاريخه، ج١ ص١٦٠، الصنعاني، المصنف، ج٥، ط١٣٩٠هـ.ق، ص٣٦٧، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج١، سوريا: ١٣٩٠هـ.ق، ص٤٥٥، البلاذري، فتوح البلدان، ج١ ص٢٣، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٧٩/ ٤٨٠، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٧ ص٣٠٢، الطبرسي، مجمع البيان، ج٨ ص٢٠٨، البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ط ليدن، ص٣٤٣، المقريزي، امتاع الاسماع، ج١ ص٢١٦، العامري، بهجة المحافل، ج١ ص٢٦٢، المسعودي، مروج الذهب، ج٢ ص٢١٩، القمي، تفسيره، ج٢ ص١٧٦، اليعقوبي، تاريخه، ج٢ ص٥٠، البيهقي، دلائل النبوة، ج٣ ص٣٩٥، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤ ص٢١٧، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١ لبنان، ص١١، الكلاعي، الاكتفاء، ج٢، القاهرة: ١٣٨٧هـ.ق، ص١٥٨.

لقد تجسد دور اليهود بشكل رئيسي في هذه المعركة بحشد الحشود وتحزيب الأحزاب إذ مهد لها نفر من يهود بني النضير المنهزمين عقب طردهم وإجلائهم إلى حصن خيبر، انتقاماً لما حل بهم، وهم أثرياء اليهود الذين ذاع صيتهم، وعلى رأسهم حيي بن أخطب الذي توجه من خيبر إلى مكة يحرض قريش على حرب النبي، وفي المهمة ذاتها توجه كنانة بن أبي الحقيق إلى بني غطفان يدعوهم للاشتراك في الحرب القادمة مقابل نصف تمر خيبر لمدة سنة، ونجحوا أيما نجاح، وحشدوا جمعاً عظيماً للمعركة قرابة عشرة آلاف مقاتل، مجهزين بكافة أنواع السلاح مقابل قوة إسلامية لا تزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل في أحسن حالاتها[١].

٣ ـ نكث العهد:

أكد حيي بن أخطب لأبي سفيان زعيم قريش، بأن، بني قومه من بني قريظة سينقلبون على محمد في الوقت المناسب، ويشتركون بالقتال في اللحظة الحاسمة كورقة رابحة في جانبهم، يتمثل دورهم بالقيام بهجوم مباغت من الخلف عند اندلاع المعركة. الأمر الذي سيكون له كبير الأثر على مجريات المعركة، خصوصاً وهم أهل السلاح والقراع والقتال، ويبلغ عديد قواتهم ٧٥٠ مقاتلاً، فلما دنا القوم من يثرب، طلب أبو سفيان من حيي تنفيذ ما وعد به وما تمّ الاتفاق عليه: ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد[٢].

(١) السمهودي وفاء الوفاء، ج١ ص٣٠١.
(٢) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٤٥٤.

فلما أتاهم كرهوا استقباله لأنه نذير شؤم يحب الرئاسة والشرف وهو شخص معروف باستغلاله المواقع لتحقيق مصلحته الشخصية وأهدافه النفعية دون أي اعتبارات أو ضوابط، فرفض كعب بن أسد دخوله حصنهم في بداية الأمر معللاً ذلك بأنه لا يسعى إلى نقض العهد: يا حيي، إني عاقدت محمداً وعاهدته، فلم نر منه إلا صدقاً، والله ما أخفر لنا ذمة، ولا هتك لنا ستراً، والله لقد أحسن جوارنا.

فقال حيي: ويحك! إني قد جئتك ببحر طام وبعز الدهر، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، والعدد عشرة آلاف، والخيل ألف فارس وسلاح كثير، وقد تعاقدوا وتعاهدوا الا يرجعوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. قال كعب: ويحك! جئتني والله بذل الدهر وبسحاب يبرق ويرعد ليس فيه شيء[1].

وكره كعب بن أسد في البداية نقض العهد، وانه على مستوى عال بالالتزام في الوعد والعهد الذي قطعه، لكنه ما لبث أن تراجع عن موقفه هذا، شأنه كسائر اليهود الذين يراهنون على المتغيرات التي تطرأ، وبعد إلحاح شديد من جانب حيي وافق على نكث العهد، على أن يتحمل النتائج السلبية، إذا فشل الحصار، بأن يدخل حصن بني قريظة ليلقى المصير نفسه، ويصيبه ما أصابهم، «وبلغ رسول الله ﷺ ذلك فغمّه غماً شديداً»[2].

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، لبنان: ١٩٦٦ م، ص١٠٣.

فاشتد عليه ذلك، وأراد التأكد من الخبر، فدعا رسول الله علية القوم من الأنصار، زعماء الأوس والخزرج، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير، وهي شخصيات مؤهلة للتفاوض واتخاذ القرارات، وأوكلت لهم مهمة خاصة، للاطلاع على حقيقة الامر، وكان اختياره هؤلاء على مستوى الظرف الحرج، فلما انتهوا إلى بني قريظة وجدوا الأمر صحيحاً، وجرت مشادات كلامية حادة بين الطرفين، وساد موقف من التحدي والشجار.

وعاد وفد النبي مستاء مما جرى، وبأسلوب لافت عبروا للنبي عن خداع القوم وختلهم، وتسرب الخبر إلى عامة المسلمين، وأصاب الناس حالة من الخوف والجزع، وعظيم البلاء، وأيقنوا بهول الامتحان العسير، وقالت طائفة من المنافقين: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾(١).

وقد استطاعت قريش من خلال إغرائها لبني قريظة ان تفتح ثغرة كبيرة وخطيرة في جبهة المسلمين حيث أصبحت بين فكي كماشة، بنو قريظة من فوقهم، وقريش وأسد وغطفان من أسفلهم، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الجزع.

---

(١) قرآن كريم، سورة الأحزاب، الآية ١٣، الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، ج٢ ص٣١٨، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٧ ص٣٠٧، الطبرسي، مجمع البيان، ج٨ ص٣٤٧، دحلان، السيرة النبوية، ج٢ ص٥، الصالحي الشامي، سبل الهدى والارشاد، ج٤، مصر، ص٥٢٨، ابن الديبع الشيباني، حدائق الانوار، ج٢، الدوحة، ص٥٨٧، المقريزي، امتاع الاسماع، ج١ ص٢٨٨ ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج٢ ص٦٠، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١ ص٤٨٤، ابن طاوس، سعد السعود، إيران: ١٣٦٣هـ.ش، ص١٣٨.

واجتاحت هذه المخاوف سكان يثرب، وظنوا بالله الظنون، وفي ظل هذه الأجواء نزلت آيات تصف ما كان عليه المسلمون، من حالات الرعب ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[1].

٤ ـ مواقف متباينة:

وأشار أيضاً إلى موقف قلة من المؤمنين الذين واجهوا القضية بصلابة، تجسد في التمسك بسلاح الإيمان، وقدرته على الثبات في الصعاب ليزدادوا إيماناً وتصديقاً ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[2]. ويجمل بنا القول أن هذه الآية وغيرها من الآيات؛ تعبّر عن موقف القلة المؤمنة الصابرة التي اعتمد عليها رسول الله ﷺ في تحقيق الانتصارات. وكان الإمام علي عليه السلام مصداقها الأوحد، نظراً للأدوار التي قام بها في مختلف المراحل الحرجة والصعبة.

وثمة عوامل ساهمت في فرض الانسحاب الانهزامي على حشود الأحزاب أهمها: مقتل بعض صناديد قريش وعلى رأسهم عمرو بن ود العامري، واستعمال أسلوب التفرقة بشيء من الدبلوماسية السياسية من

---

(١) قرآن كريم، سورة الأحزاب، الآيات ١٠ ـ ١٢.

(٢) قرآن كريم، سورة الأحزاب، الآية ٢٢.

قبل بعض رجال المسلمين التي فعلت فعلها، وكذلك هبوب رياح عاتية أرغمتهم على الانسحاب، وإطالة أمد الحصار، وقلة المؤن وغير ذلك من البلاءات.

فأعلن زعيم قريش أبو سفيان الانسحاب مبرراً ذلك بقوله: «يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحل إني مرتحل»[١].

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فرجعوا إلى بلادهم، وقالوا: والله، ما لمحمد أحب إلينا، وأولى بنا من يهود، فما بالنا نؤذيه وأنفسنا، وكانت تلك السنة مجدبة، فجهدوا، وأضرّ مقامهم بكراعهم، فانصرفوا وانصرف الناس[٢].

وبعد رحيل قوى الأحزاب أصاب بني قريظة الجزع الشديد لما اقترفت أيديهم من نكث العهد، والغدر بمن أمن لهم، وطارت القلوب جزعاً وفزعاً، واشتد البلاء وثارت واضطربت هواجسهم، لأن ما اقترفت أيديهم أمر لا يمكن التغاضي عنه، أو التسامح به أو غفرانه.

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٨٠.
(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج١ ص٣٤٥، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٨١.

٥ ـ دعوة الرسول لجهادهم:

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فجاءتهم طلائع جيوش المسلمين بالسرعة الفائقة، التي لم تدع لهم مجالاً للمناورة والخداع والقيام بأعمال التحصين والامتناع، ونادى مؤذن الرسول حي على الجهاد «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»(١).

وتقاطرت القوات الإسلامية من كل جهة لتفرض حصاراً محكماً على حصن بني قريظة، وحالت دون وصول الإمدادات، وشرعوا في شتم النبي، فدنا منهم، وقال رسول الله ﷺ: «يا أخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت»(٢).

وطال أمد الحصار، وعجز اليهود عن القتال، وندموا على ما صنعوا، فنزلوا على حكم رسول الله، فتواثبت الأوس حلفاء بني قريظة، وقالوا: إنهم موالينا دون الخزرج، فسعى النبي إلى إرضائهم، بأن يحكم فيهم رجلاً منهم، واختار سعد بن معاذ، بعد أن أخذ العهد منهم بقبول تحكيمه كيفما كان، فلما ألحوا عليه وأكثروا صمم على تنفيذ الحكم الذي يستحقوه دون أن يكون للعواطف أي دور، فقال: أنَّى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٨١.

(٢) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٥٠٠.

فحكم فيهم «أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى ذراريهم، وان تقسم أموالهم. فقال: لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله»[١].

٦ ـ نهاية أمرهم:

فحبسهم في دار بنت الحارث، وحفرت الخنادق في سوق المدينة، ثم ضرب أعناقهم. وجيء بحيي بن أخطب أشهر زعماء اليهود لينال عقابه، فلما رأى الرسول قال: «أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، انه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة، كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه»[٢].

وكان أمل بني قريظة بعد استسلامهم أن يعاملوا كبني قومهم من بني قينقاع وبني النضير، معتمدين على حلفائهم السابقين من بطون الأوس، لكن فألهم قد خاب، لأن زعيم الأوس خبرهم اثناء حصار الأحزاب ليثرب، وسبر أغوارهم، فلم يراعوا له حرمة ولا أية قيمة معنوية، فتعرضوا له بأقبح الأقوال، فحذرهم من شطط أفعالهم وعاقبة أعمالهم، وتولى رجال من الأوس تنفيذ حكم الإعدام بهم.

وهكذا تمّ تطهير يثرب من كافة البطون اليهودية، وأضحت تحت السيادة الإسلامية وحدها.

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص٥٨٧.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص٢٤١.

رابعاً: فتح حصون خيبر:

١ ـ الأهمية السياسية والعسكرية:

على الرغم من كافة الاعتراضات والاحتجاجات الكثيرة التي صدرت عن عدد كبير من الشخصيات الإسلامية على اتفاقية الهدنة مع قريش والتي عرفت بصلح الحديبية، خصوصاً فيما يرتبط ببعض بنودها، والتي اعتبرت نوعاً من التنازل من جانب المسلمين.

غير أن النتائج السياسية لهذه الاتفاقية كانت على درجة كبيرة من الأهمية من ناحية تأمين حالة السلم مع قريش من جهة ـ حيث نصت بعض بنود المعاهدة أن تكون مدتها الزمنية عشر سنوات ـ والاستعداد والتفرغ لإنهاء آخر وجود يهودي في الجزيرة العربية بالاستيلاء على منطقة يهود خيبر، حيث يوجد أعظم مركز تجمع يهودي في شمال الحجاز، وهي ما بين يثرب ومنطقة تيماء الملاصقة لأقصى حدود الشمال عند سوريا[١].

وتشكل هذه المنطقة مجموعة من الحصون المنيعة أهمها النطاة والصعب بن معاذ، ناعم، قلعة الزبير، الشق، أبي، النزار، الكتيبة، القموص، الوطيح والسلالم[٢].

تضم هذه الحصون عشرة آلاف مقاتل، تم إعدادها للمواجهة المنتظرة والتي لا مناص منها، وكانوا يستعرضونها يومياً في الآونة

---

(١) طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج٢، بيروت: دار الجيل ١٩٧٥ ص١٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢ ص٣٠٣/ ٣٠٤.

الأخيرة، واستبعدوا إلى حد ما أن يقدم النبي على هذه المغامرة المحفوفة بالكثير من المخاطر والصعاب، وذات أمل ضعيف جداً في تحقيق أي انتصار على هذه القوة الهائلة، بلحاظ عوامل عدة منها غرورهم وخيلاؤهم باستطالة قوتهم، ومناعة حصونهم، وعددهم وعتادهم، وحصون شاهقة كأنها الجبال الشامخة، وماء وافر، بالإضافة إلى كل مقومات التصدي العسكري.

٢ ـ الاستعداد للمعركة:

ولم تكن بطون اليهود في خيبر غافلة عما جرى لبني قومها على يد المسلمين (بنو قينقاع ـ بنو النضير ـ بنو قريظة) وتابعت بقلق شديد أخبارهم، وما آلت إليه أوضاعهم وأمورهم، فضلاً عن لجوء عدد كبير من هؤلاء إلى خيبر للاحتماء بها، وخصوصاً الأثرياء منهم.

على كل حال، كان من الطبيعي والمنطقي ان يتجهزوا لحرب طويلة، فرمموا حصونهم وأصلحوها، وشحنوها بالسلاح والعتاد، ولإحكام السيطرة تحالفوا مع قبيلة غطفان مقابل تمر خيبر لسنة[١].

وأيقنوا أن الحرب واقعة لا محال. وفي السنة السابعة من شهر محرم خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر حين رجع من الحديبية، ونزل بجيشه في وادي الرجيع ما بين خيبر وغطفان، ليحول بينهم وبين أهل خيبر، وبعد إشاعات الغزو التي تعرضت لها غطفان انسحبت لتحمي ذراريها، تاركة يهود خيبر وجهاً لوجه أمام القوات الإسلامية.

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٤٢.

٣ ـ بداية المعركة:

وكان لهذا التدبير العسكري أثره في إبعاد القوى المتخاذلة والمتآمرة عن بعضها. ولما دنا رسول الله ﷺ من خيبر، التقى ببعض عمال اليهود مصبحين في حقولهم يعملون، فصرخوا محمد والجيش، ثم ولوا هاربين إلى حصونهم[١].

ودبَّ الرعب والذعر في صفوفهم، وبدأ محاصرة الحصون واحداً تلو الآخر. وبدأوا بحصن الناعم ثم القموص، واعتمد حصن الصعب بن معاذ مخزناً للتموين والسلاح، إلا أن أشرس المعارك كانت في حصني الوطيح والسلالم، اذ فشل المسلمون في اقتحامهما، وتكبدوا خسائر فادحة، بلغت عشرات الجرحى.

وهذا التفوق والغلبة أعطاهم دفعة هائلة ومعنويات كبيرة، فبرزوا للمسلمين بكل جرأة وبسالة، ورجحت كفة المعركة لصالحهم، وتقدم الحارث أبو زينب يهد الأرض هداً، ثم نحت المعركة نحو شن الهجمات من كلا الطرفين، وابتدأها أبو بكر من جانب المسلمين حاملاً رايتهم، لكنه رجع ولم يصنع شيئاً، ففشلت الحملة الأولى، فحرض الرسول المسلمين على القتال ودفع الراية إلى عمر بن الخطاب، فخرج ثم ما لبث ان عاد ولم يصنع شيئاً أيضاً.

٤ ـ الموقف الحرج:

فاغتمّ رسول الله ﷺ ووجد في نفسه حدة شديدة، وأمسى

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٤٢.

رسول الله مهموماً، وأمام هذا الموقف المهيب، تسمر الناس في مواقعهم، وكأن على رؤوسهم الطير، يلفهم وجوم شديد، وفي هذه اللحظة المريعة، أدركت القيادة الإسلامية خطورة ما هي فيه من مأزق حرج لا تحسد عليه، فانبرت بشخص الرسول ﷺ لمواجهته بكل ثبات ويقين، وإنقاذ المسلمين من الورطة التي قبعوا فيها، واعداً إياهم بالنصر المظفر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار»[1].

وتطاول المسلمون إلى حمل الراية في الغد، وأمسى كل واحد منهم يتمنى أن يكون من عناه رسول الله، فلما أصبحوا، أرسل نحو الإمام علي عليه السلام وكان أرمد العينين، فتفل في عينيه، وشفي من وقته، ودفع إليه الراية، وتوجه إلى المعركة كالإعصار الهادر واثقاً لا يلوي على أحد، وكل أنظار المسلمين تتطلع إليه، بعيون التائقين إلى النصر المظفر.

٥ ـ النصر المبين:

فكان أول من خرج لمواجهة المسلمين زعيم اليهود الحارث أخو مرحب مع نفر من اليهود، فانكشف المسلمون وثبت علي عليه السلام وحده، وتمكن من صرع الحارث، وولى بقية اليهود منهزمين إلى آطامهم، ثم برز مرحب صاحب الحصن، وأشدهم شكيمة وأقواهم عزيمة، يرتجز مفتخراً بقوته وشجاعته، وهو كالفحل الصؤول:

قد علمت خيبر اني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

---

(١) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٥٣.

أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب

فرد عليه الإمام علي بالشجاعة نفسها:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ليث بغابات شديدة قسورة[١]

فتبادلا الضربات، وأحكم علي عليه السلام ضربته فصرعه، وسمع أهل العسكر صراخه وسقط جثة هامدة، فأصاب اليهود الهول بعد مقتل قائدهم، وتوجه الإمام بسرعة إلى باب الحصن فدخله، ولحق به المسلمون، وأبدوا شجاعة عظيمة لا مثيل لها، وبعث رجلاً يبشر النبي بفتح الحصن والانتصار.

٦ ـ الهزيمة والاستسلام:

وبعد هذا الإنجاز الكبير، آثر من بقي من اليهود الحفاظ على حياتهم، والاستسلام للنبي، فنزل ابن أبي الحقيق، وصالح رسول الله على حقن دماء من بقي في الحصون من المقاتلين وترك الذرية، ليخرجوا من خيبر وأراضيها بذراريهم، ويخلوا بين رسول الله وبين ما لهم من مال وسلاح وصفراء وبيضاء، ولا يحمل إلا ثوباً واحداً على ظهر أحدهم.

فقبض المتاع والحلقة، فوجد من الدروع مائة درع، وأربعمائة سيف، وألف رمح، وخمسمائة قوس بجعابها[٢].

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٣ ص١٢/١٣.

(٢) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٧١.

مهما يكن من أمر، سقطت حصون خيبر واستسلم أهلها، وغنم المسلمون طعاماً وأثاثاً كثيراً، وسلاحاً وفيراً، وأجلي اليهود صاغرين.

ولما فرغ رسول الله من خيبر قام بتطهير بقية الجيوب اليهودية، فانصرف إلى وادي القرى القريبة من خيبر، التي جرت فيها بعض المناوشات، لكن سرعان ما تمكن المسلمون من إخضاعها[١].

وقذف في قلوب أهل فدك الرعب، فبعثوا إلى النبي ﷺ يصالحونه على نصف غلالهم، على أن يحقن دماءهم، فقبل ذلك منهم، وخضعوا للسلطة الإسلامية.

٧ ـ نهاية اليهود في الجزيرة العربية:

أبقى النبي ﷺ على بعض البطون اليهودية للعمل في الأرض مقابل نصف الغلال، لكن إجلاءهم النهائي جرى في زمن خلافة عمر بن الخطاب، إلى كل من تيماء وأريحا[٢]. وسبب ذلك أن اليهود اعتدوا على ولده عبد الله بالضرب أثناء تواجده في خيبر. وحصل على مبرر شرعي لإخراجهم إذ قال: «بلغني عن رسول الله، لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٢ ص١٦.

(٢) البخاري، صحيحه، ج٢ ص١٢٩/٣٢، مسلم، صحيحه، ج٥ ص٢٧، أحمد بن حنبل، مسنده، ج٢، مصر: ١٣١٣هـ.ق، ص١٤٩، الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، ج٣ ص٥٨، السهيلي، الروض الآنف، ج٣، مصر، ص٢٥١.

(٣) الهندي، كنز العمال، ج٤، الهند: ١٣٦٤هـ، ص٣٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤ ص٢٠٠، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص٣٥٧، الواقدي، المغازي، ج٢ ص٧١١، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٣ ص٢١.

لا يمكننا أن ندع الأمور تجري بهذه الطريقة دون أن يكون لنا علامات استفهام كثيرة حول حديث رسول الله ﷺ، فلماذا لم يقم النبي ﷺ بإخراجهم بعد هزيمتهم، أو لماذا لم يسعَ عمر إلى طردهم بعد استلامه الخلافة أو خلال فترة غير قصيرة من حكمه. ولكن عندما انحصرت القضية في الدائرة الشخصية تذكر عمر أو لعله استثار في إيجاد مسوغ شرعي، فكان له ما أراد.

وفي نهاية المطاف، انتهى الكيان اليهودي في جزيرة العرب، بعد كل هذه الهيمنة السياسية والاقتصادية، فتشتتوا في البلاد البعيدة عن سطوة المسلمين، واندمجوا مع الشعوب التي لجأوا إليها، وذابوا في بوتقتها، وكل ما انتهوا إليه «بما كسبت أيديهم».

وانهارت كل قوى اليهود التي انتهجت أساليب الخداع والختال، ونزعة التعالي على الآخرين، ولجأت في البداية إلى تحريض قريش للاستمرار في ضرب ظاهرة التوحيد التي قضّت مضاجعهم، وبالغت في الإيذاء، وتمكنت من الإيقاع بين العرب، لكن الذي لم تتوقعه يوماً، أن تصبح لهذه القوة الإسلامية الصاعدة السيادة والسلطة والهيمنة على جزيرة العرب، وتستأصل كيانهم.

وفشلوا في مواجهة المسلمين، وتكبدوا خسائر فادحة مادية ومعنوية بالغة الأثر، بعد أن غررت بهم خيلاؤهم وعنجهيتهم، واحتقروا القوى المعادية لهم، وسعوا للقضاء عليها، ولكنهم أخفقوا، واستمروا في لعق جراحاتهم، إلى أن كانت نهايتهم ومصيرهم الأسود المشؤوم على يد الإسلام.

خاتمة

لعل هذا المدخل يلقي الضوء بشكل جيد على مسيرة اليهود التاريخية، ولا يدخل في عمق بحثنا إلا بشكل يمكن أن يمهد للقارئ الطريق للولوج في صلب الموضوع الذي تعرضنا له بشكل أساسي ورئيسي، اليهود ووضعهم في يثرب وجوارها، التي تعد النقطة الأساسية التي سوف تدور حولها هذه الكتابة. بالإضافة إلى تواجدهم المشتت في الجزيرة العربية.

ولعل الكتابات الباحثة في تاريخ اليهود العام تكاد تكون كثيرة، إلا أن هذا التاريخ الخاص لحقبة زمنية معينة، ولموقع جغرافي محدد لم يأخذ حقه في الدراسة لعدم توفر المصادر المهمة، أو إعطائه القدر العالي من الأهمية، الأمر الذي يخوله ان يكون موضعاً للدراسة والبحث، إلا أن الربط بين العلاقات اليهودية الإسلامية دون هذه الحقبة الزمنية والرقعة الجغرافية يعتبر ناقصاً أو ضعيفاً، لأنها تشكل منطلق الصدام والعداوة ومحاولة الإلغاء من قبل اليهود مقابل الحوار واعتماد سياسة التهدئة واللين من قبل السلطة الإسلامية.

لا شك أن نتيجة البحث تعصر في الخاتمة، لذا فسوف تظهر

في عبارات موجزة وفقرات مترابطة وهذا ما اعتمدناه في هذا البحث. حيث نلتقط العناوين الهامة التالية التي تمحورت حولها الأفكار والتحاليل:

- إعادة تقييم الأحداث التاريخية بمنظور البحث والتقصي والتحري عن الحقيقة المعرفية، ونشدان الحقيقة دون أن يكون للإيديولوجية التي نحملها أي تأثير في طرح الواقع التاريخي. والسعي إلى تحقيق الذات بالغوص في لجج الحقائق، من خلال رؤية ودينامية تحشد الأدلة والشواهد لبيان حقيقة الادعاءات الصهيونية، والتعرف على العدو عن كثب، وعدم الانخداع بالطلاء الكاذب، والشعارات البراقة، التي تنفذ إلى نفوس الكثيرين الذين لا يملكون الوعي ومفردات المعرفة للاطلاع على الخلفية والذهنية والأدبيات التي تحكم أطر العلاقة بين اليهود والأمم الأخرى.

- إن دراسة معالم حقبة زمنية معينة من العلاقات اليهودية الإسلامية في يثرب، تستدعي الوقوف على وقائع سياسات قوى حضارية متمايزة، ومسار تحولات الصراع، باعتماد دينامية محكومة بسياق السعي للإقناع المبني على معطيات الحراك التاريخي في تصويب أفكار ظلت سائدة إلى وقت قريب، وليست الغاية من هذه الكتابة سرد أحداث الماضي، وما يرافقها من تسطح واجترار لا فائدة من إظهارها.

- التعريف بالمصطلحات اللغوية المتداولة في الوعي السائد، بالإشارة إلى الشعب اليهودي (العبرية - اليهودية - الصهيونية -

الإسرائيلية) وإظهار ملامحها وجذورها، ومنطلقاتها وأهدافها. وما تنطوي عليه من مفاهيم ودلالات تاريخية مهمة.

- درج جل الباحثين والكتاب والمؤرخين على عدم التمييز، بين عصور مختلفة، وأحقاب زمنية متفاوتة ترتبط ببعض جزئياتها بالدعاية والتسويق الإعلامي اليهودي القوي من قبل الصهيونية الناشطة، في صياغة متناهية لمفردات تعابيرها، وترسيخها في مخيلة النخب والوعي الشعبي أيضاً. إذ عمدت إلى دمجها، كي تعمي على الرأي العام حقيقة الواقع التاريخي لكل مرحلة، وخصائصها ومميزاتها على الرأي المهتم بهذا الشأن، يندرج ذلك وفق استراتيجية تتكئ على المسار التاريخي.

- سعياً لإثبات مزاعم لم تكن موجودة ومحاولة إشاعتها باستمرار في سبيل تركيزها لدى الأمم، ناهيك عن دقة التخطيط وحسن التدبير التي اتسموا بها في تحقيق هاتيكم الأهداف.

- ادعاء اليهود بأنهم ينتسبون إلى النبي إبراهيم عليه السلام الذي ولد سنة ٢٠٠٠ ق.م للدلالة على أقدميتهم في تاريخ البشرية مع العلم أن النبي موسى عليه السلام خرج مع أتباعه من اضطهاد الفراعنة سنة ١٣٠٠ ق.م أي بعد ألف عام تقريباً من عهد يعقوب أحد أحفاد النبي إبراهيم، مما يثير الغرابة، والمبالغة في اجتراح الكذب والزيف.

- وما انتسابهم إلى يعقوب (إسرائيل) إلا فرية أكثر غرابة من الادعاء الأول. ولعل اتخاذهم تسمية اليهود نسبة إلى منطقة يهوذا

إحدى المناطق الكنعانية من أجل تثبيت حقهم في فلسطين التي وفدوا إليها كلاجئين في عهد النبي موسى ﷺ وخلاصة القول أن هذه الأضاليل التي تفتقت بها مخيلتهم تخالف الواقع التاريخي، إذ دأبوا على طمس معالمه بكافة الوسائل المختلفة.

- إن الكتابات التاريخية التي اعتمدت التوراة المتداولة كمصدر أساسي اتكأت عليها في عملية التدوين التاريخي، وفي إظهار الأحداث الماضية، فلا يمكن التعويل عليها بالشكل المطلق، نظراً لما يعتريها من شوائب كثيرة. وقصص وروايات وأساطير وواقع تضج فيه الجرائم وأعمال منافية تنسب للأنبياء والأخيار لا يسوغها منطق ولا عقل. ومتناقضات جمة لا يتسع لذكرها فضلاً عن استقصائها.

- إن التوراة الموجودة بين أيدينا كتبها الأحبار في الأسر البابلي، بعد عهد النبي موسى ﷺ بحوالي ٧٠٠ عام، وما تحويه في طياتها ينسجم مع أعمال ومظاهر الانحراف والفساد التي كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية.

- إن نظرة هؤلاء إلى أنفسهم فوقية نابعة من عقدة نقص، محاولين إثبات شخصيتهم وتبديد كل شيء من اللبس حول عنصريتهم، لما تعرضوا له من اضطهاد نتيجة ما اقترفته أيديهم من اجتراح السيئات والإتيان بقبائح الأعمال.

- لقد اقتبسوا اللغة العبرية من اللغة الآرامية (لغة بلاد كنعان) التي وفدوا إليها كلاجئين، ثم عاثوا في الأرض الفساد، فارتكبوا

الموبقات، وتفننوا في اجتراح الرذائل، وأثاروا الفوضى والعداوة بين الناس. فأصابهم الخزي والذل والاضطهاد، ولفظتهم البلاد التي آووا إليها، فتشتتوا في أصقاع الأرض، فلازمتهم صفة شذاذ الآفاق.

- هناك تواصل وترابط بين الديانة التوحيدية التي يبشر بها النبي إبراهيم عليه السلام ٢٠٠٠ ق.م وما جاء به النبي موسى عليه السلام، الذي ترك مصر تحت ضغط الفراعنة إلى سيناء ثم إلى بلاد كنعان. وكذلك كانت هجرة النبي إبراهيم عليه السلام إليها من شبه الجزيرة العربية التي أصابها القحط، فأطلق الكنعانيون عليهم لقب العبرانيين، لأنهم عبروا نهر الفرات إليهم.

- جسد رسول الله على صفحة الواقع نموذجاً راقياً في دائرة العلاقات الحضارية بين السلطة الإسلامية واليهودية، فاتجه إلى استيعاب مختلف الطوائف في دولته، واعتماد طرق وأساليب نيرة في التعاطي مع أهل الكتاب، فأبرم اتفاقية مع يهود يثرب وتشكيلاتها الديمغرافية المختلفة كطريقة للتعامل السياسي. تلحظ النظرة الإسلامية الشاملة. على الرغم من المعوقات التي تعترض هذه الدينامية.

وفي ظل أهداف متباينة، استطاع رسول الله ﷺ بسعة أفقه أن يتعامل مع الواقع الجديد بحنكة ووعي وأناة، فوادع اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم عدم التآمر. فأكد ورسخ الزعامة السياسية الإسلامية المتمثلة بشخص النبي ﷺ مصدر ومرجعية القرار (الحل - العقد). والإبقاء على سلطة واحدة ومنع قيام سلطات متعددة، وهكذا ثبت سلطة الدولة الإسلامية، كقوة لا بد من

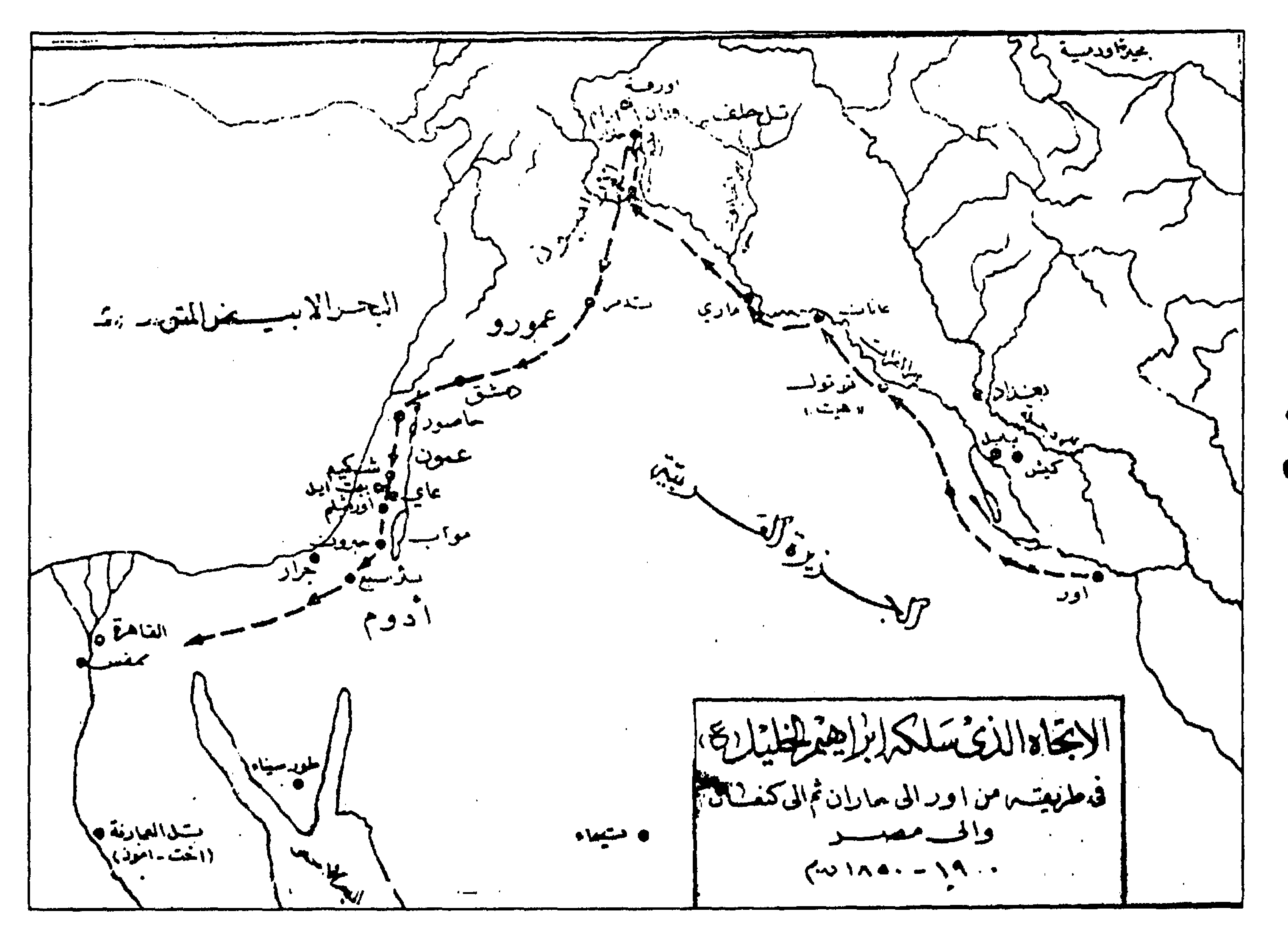
الاعتراف بها والتعامل معها. وأطلق الحريات العامة لأهل الكتاب في ممارسة طقوسهم الدينية والاجتماعية. وانفتح على اليهود واعترف بهم بغية العيش المشترك وقدرة الإسلام الفذة في التعاطي مع الآخر. لكن الأيام أثبت استحالة بلورة صيغة عيش قابلة للحياة، فعمد اليهود فيما بعد إلى إلغائها واتخذوا كافة الذرائع لذلك، ممّا أدى فيما بعد إلى الصدام المسلح، الذي آلى إلى القضاء عليهم.

ولعل تلك الدراسة الإطلالية على واقع اليهود في يثرب وضواحيها، أو بعبارة أخرى في منطقة من الجزيرة العربية التي تشكل موقعاً استراتيجياً هاماً جداً من العالم، تعطينا درساً في العمل السياسي، وعبرة في العلاقات الثنائية العملية، من خلال الخطة الإسلامية الأولى التي اصطدمت مع اليهود بعد أن كشفوا العداء لهم فقضوا على وجودهم بعد معارك شرسة واجهوا خلالها تحديات كبيرة.

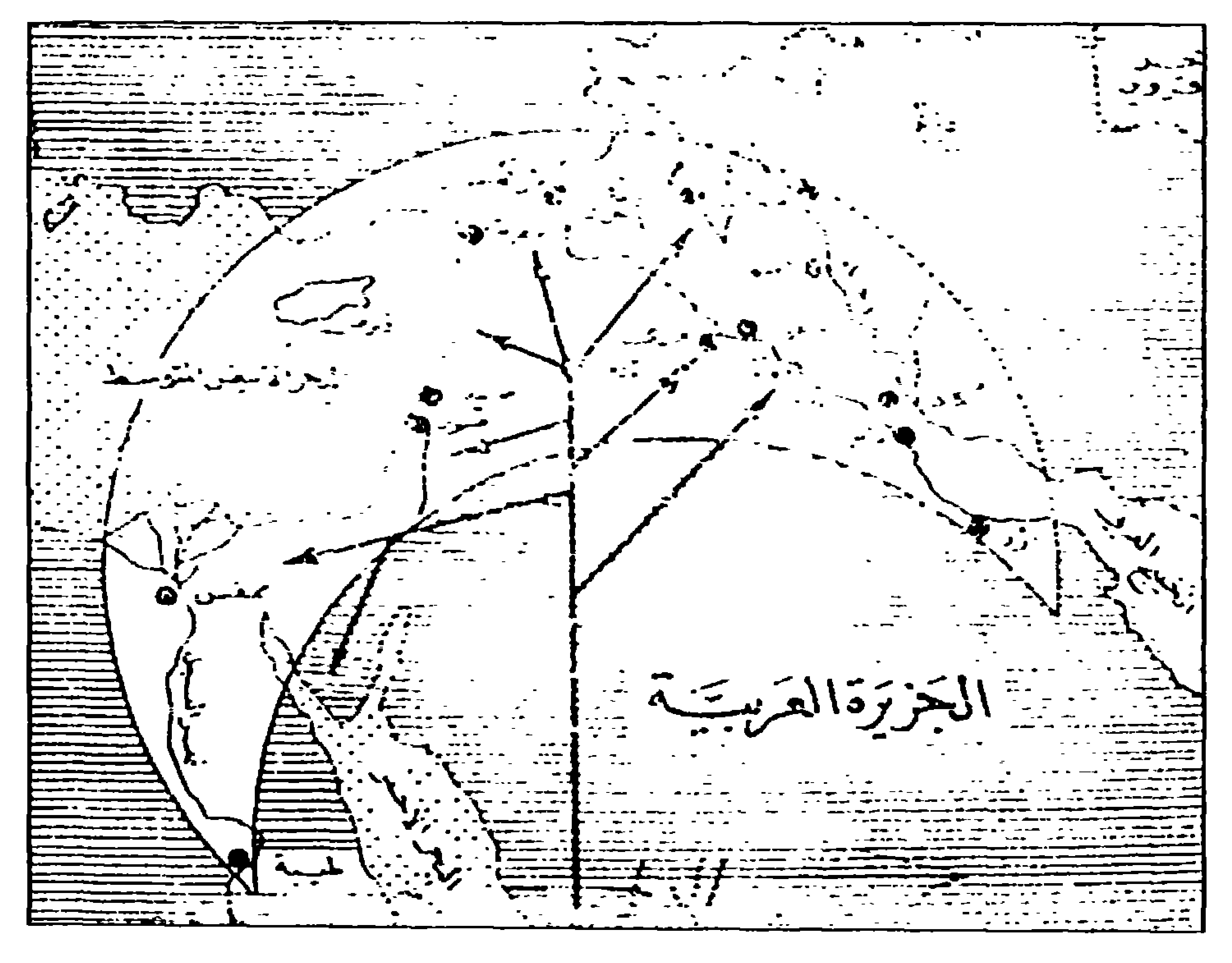
وحبذا لو يتخذ مجتمعنا هذا المسار نموذجاً فعلياً في التعاطي مع اليهود الذين اغتصبوا فلسطين ودنسوا مقدساتها، وعلى هذا الطريق من أجل إحياء التاريخ والاستفادة من عناصره وأحداثه في سياساتنا المعاصرة.

الملاحـــــــق

الملحق الأول

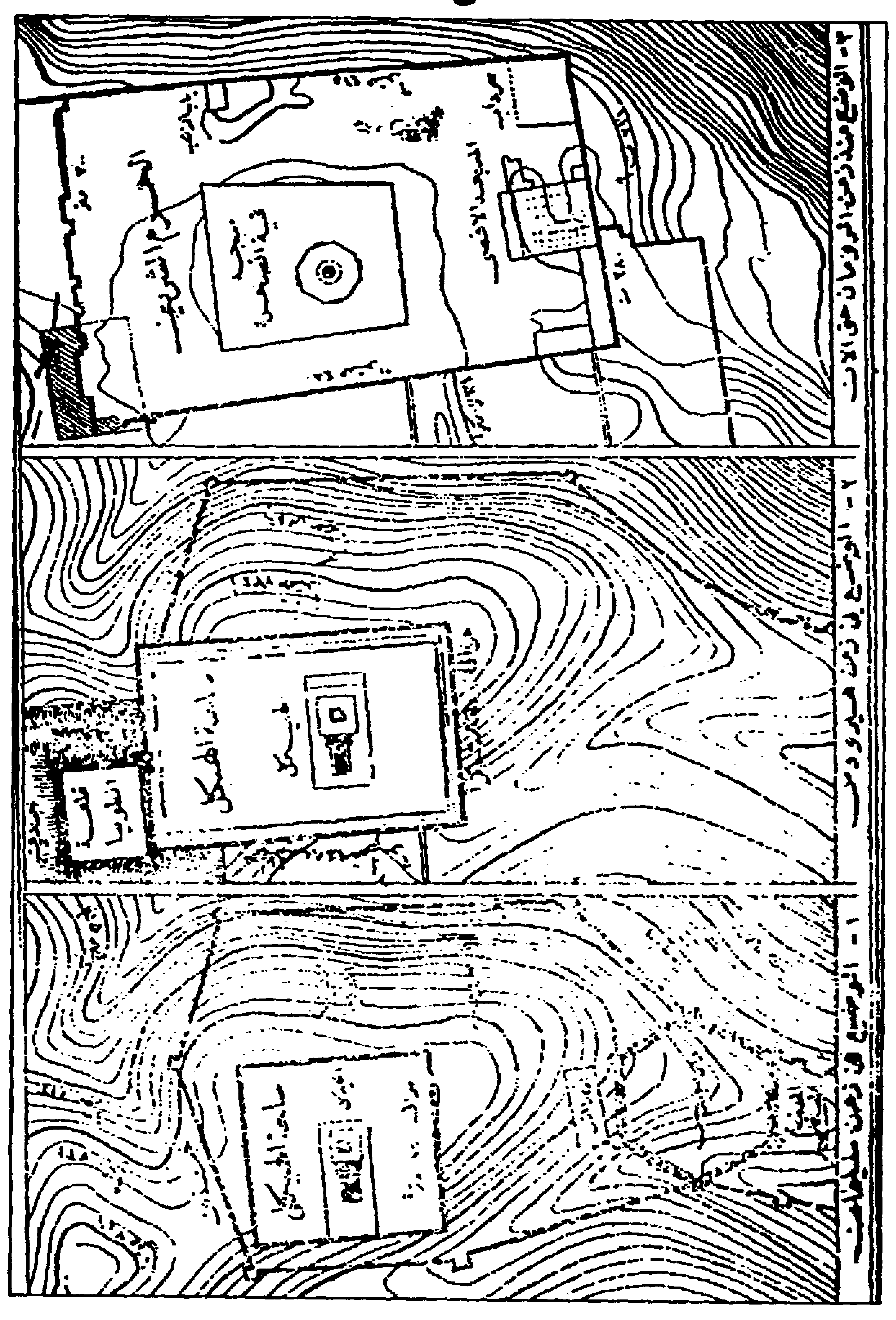


الملحق الثاني



الهجرات السامية العربية من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب

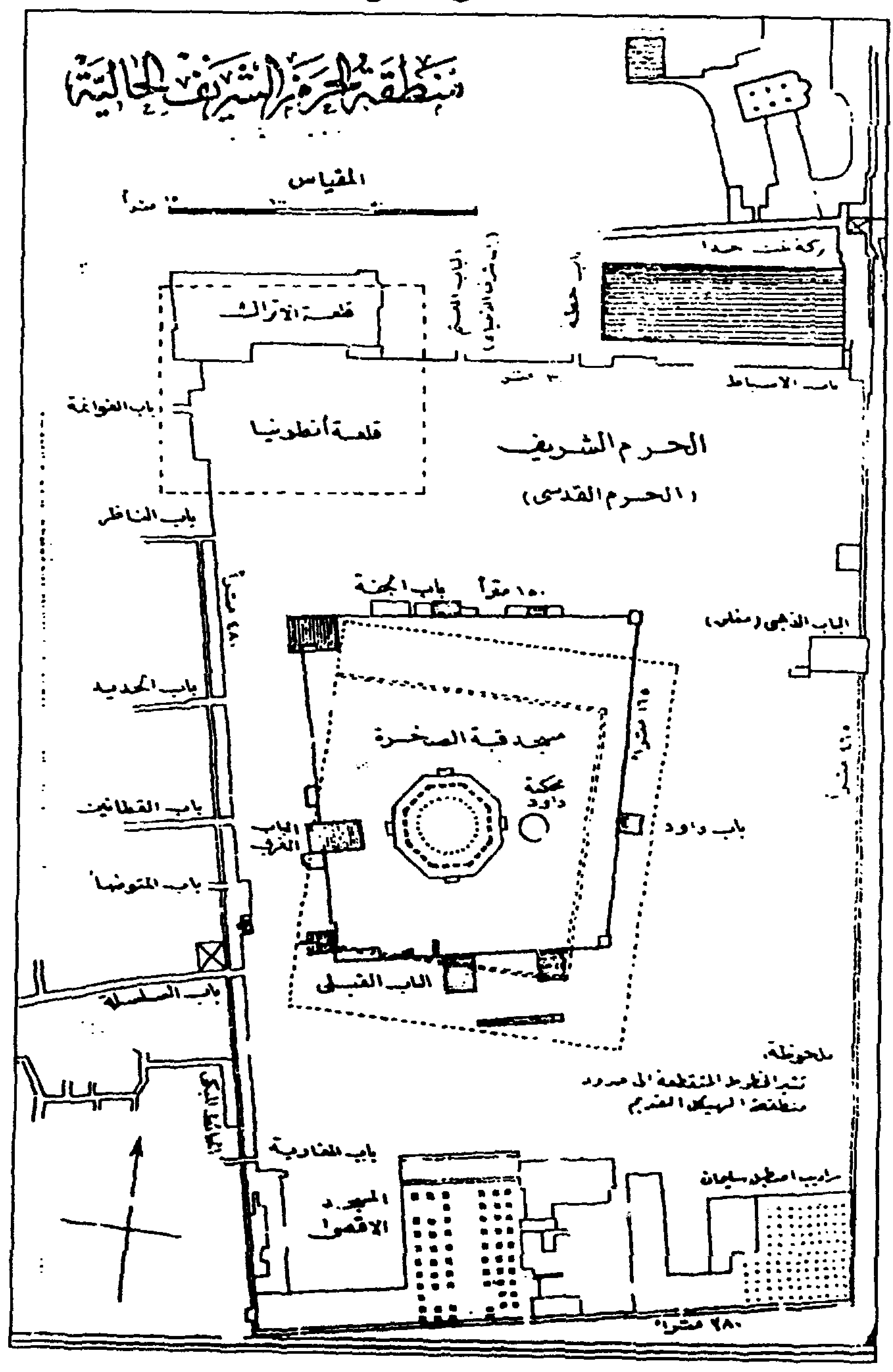
الملحق الثالث



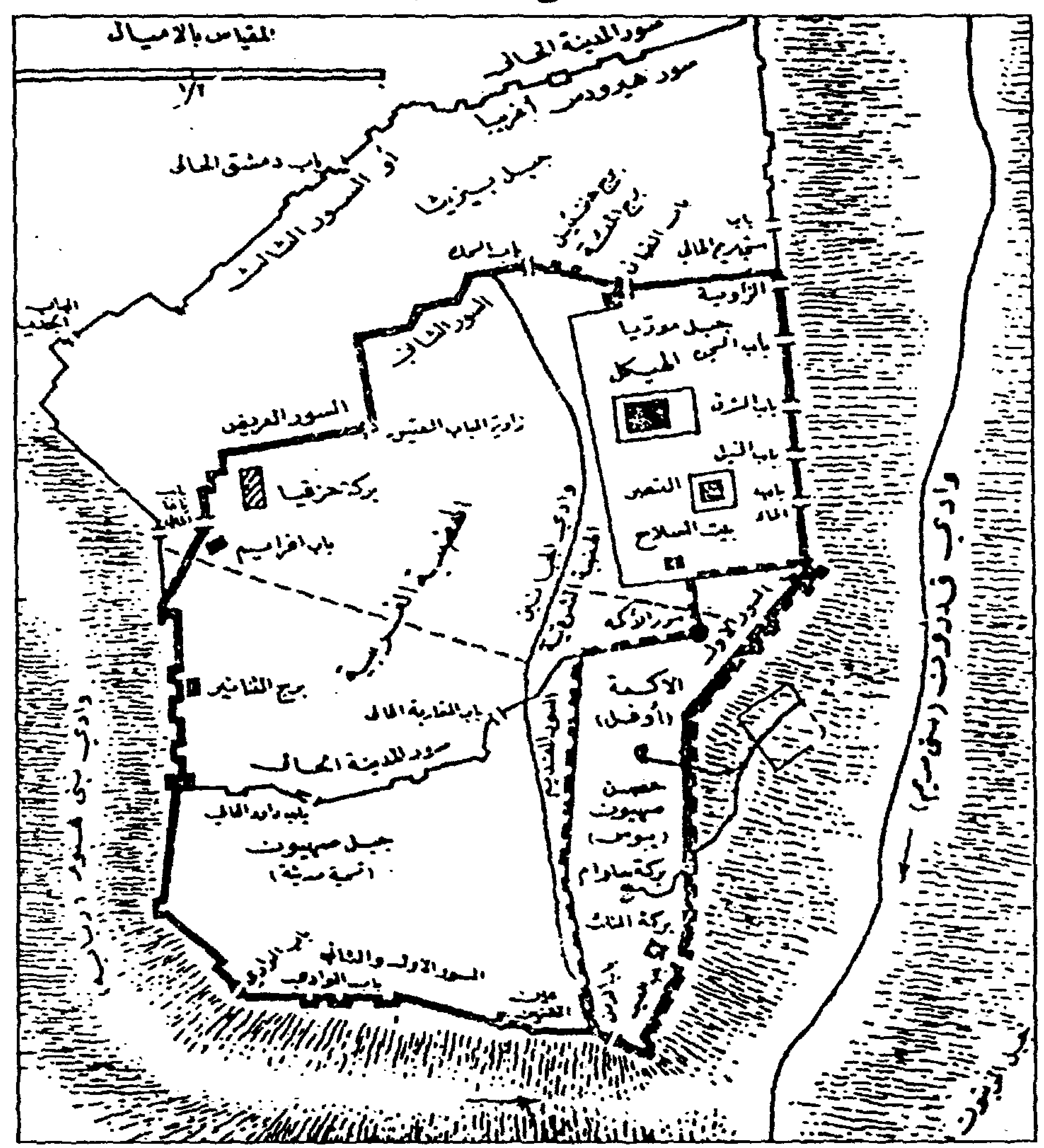
منطقة الهيكل في أدوارها الثلاثة من عهد سليمان حتى العهد الإسلامي

(مقتبس عن كتاب دليل فلسطين التاريخي)

الملحق الرابع



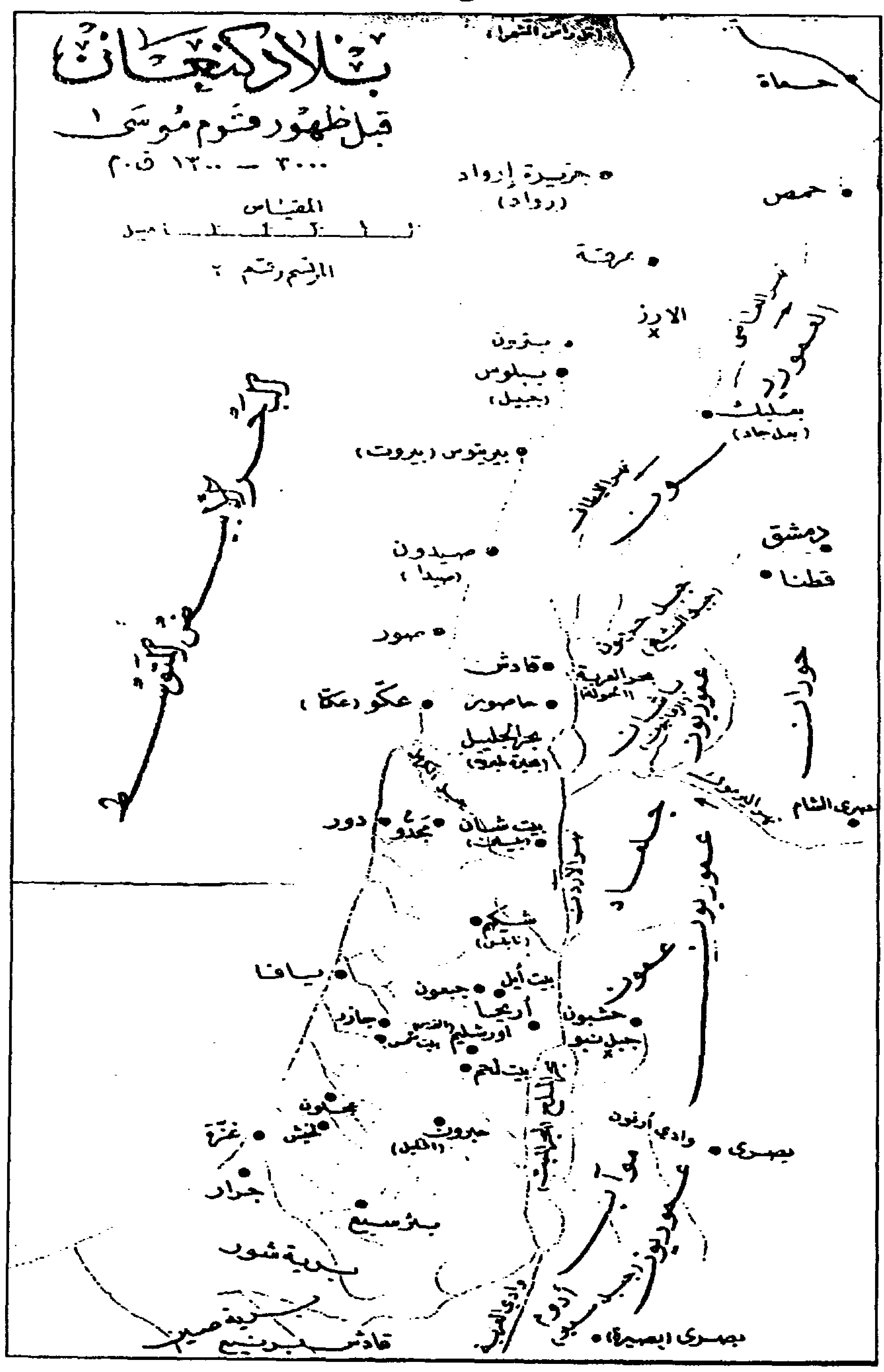
الملحق الخامس



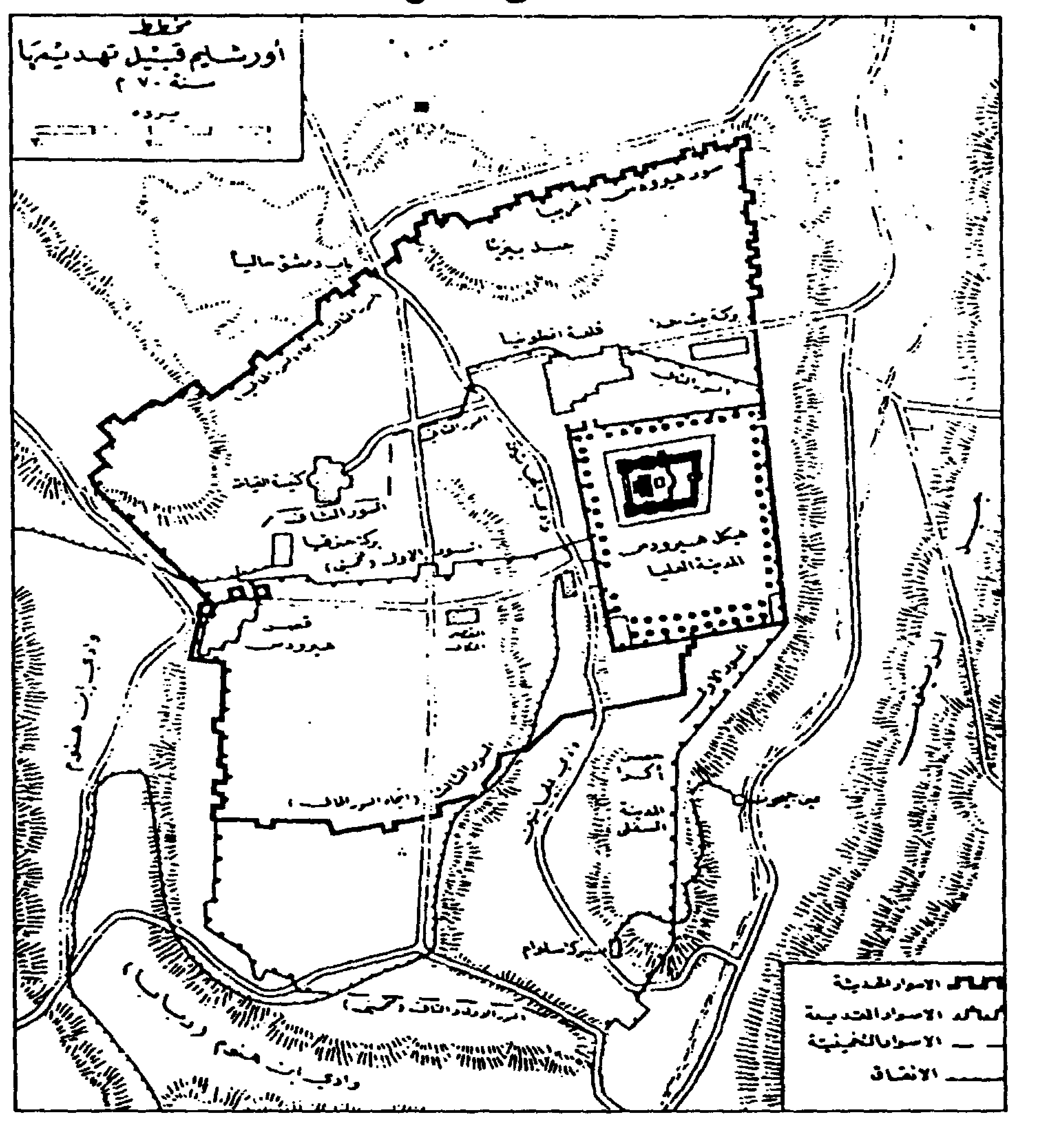
مخطط أورشليم في أقدم عصورها

(مقتبس عن كتاب «قصة التوراة»)، ج ١، ص ٢ ـ ٥ مع بعض التحرير

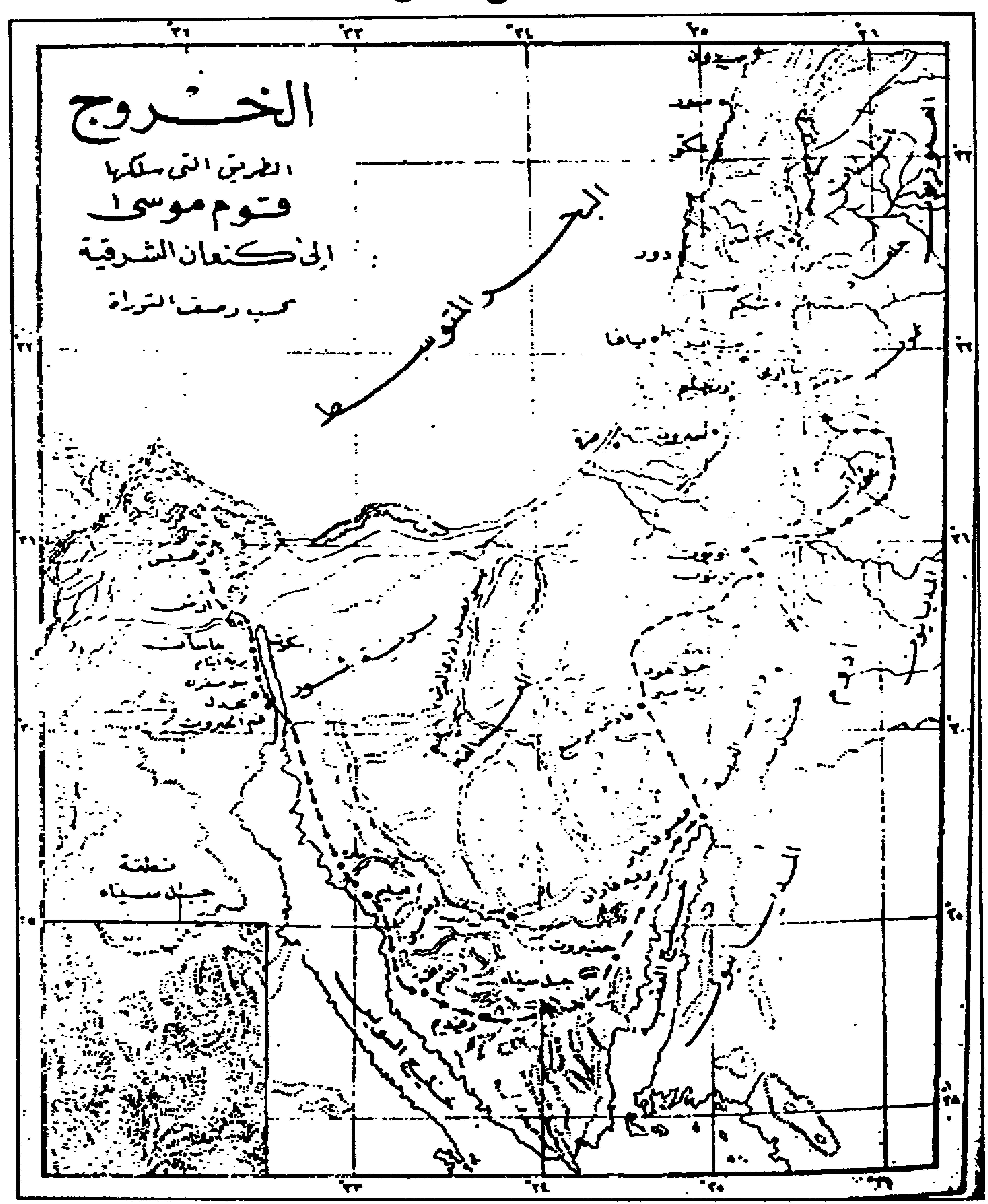
الملحق السادس



الملحق السابع



الملحق الثامن



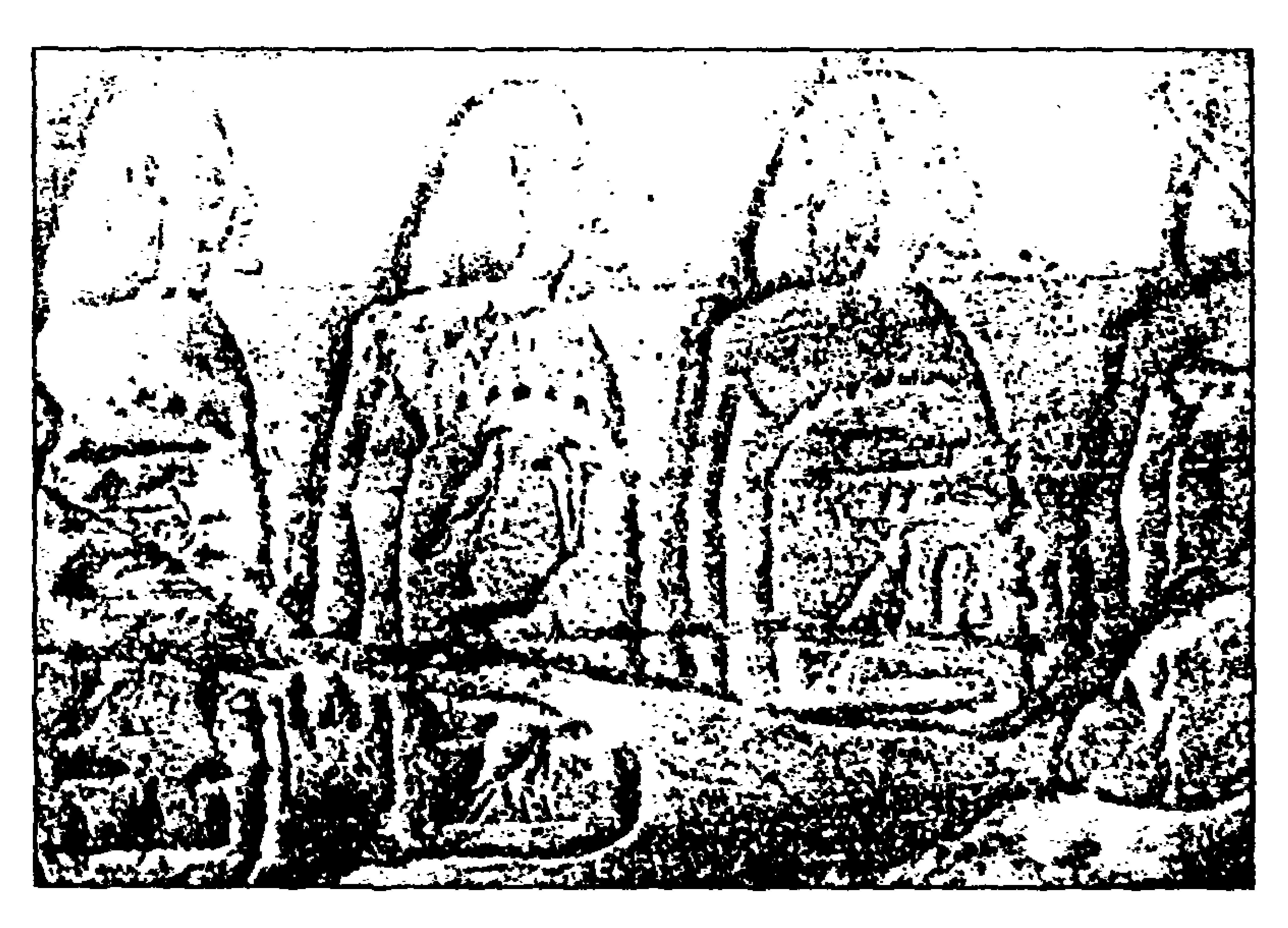
الخروج الطريق التي سلكها قوم موسى إلى كنعان الشرقية بحسب وصف التوراة

الملحق التاسع



أسرى يهود موسيقيون أخذهم الآشوريون في حملتهم على يهوذا

الملحق العاشر



أسرى من يهوذا أخذهم شيشونق الأول في حملته على مملكة يهوذا سنة ٩٢٦ق.م

وجدت بين النقوش المصرية في معبد الكرنك أيضاً

(كتاب «قصة التوراة» ص٥٦٠)

المصادر والمراجع

- القرآن كريم.
- مجلة عالم المعرفة، اختلاق إسرائيل القديمة تأليف كيث وايتلام، ترجمة الدكتورة سحر الهنيدي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٩٩م.
- التوراة، سفر يشوع، التكوين ـ القضاة ـ التثنية ـ عزرا ـ الإصحاح
- شلبي، أحمد، مقارنة الأديان اليهودية، القاهرة: ١٩٩٢م.
- شنودة، زكي، اليهود: نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم، مصر ١٩٧٤ م
- طنطاوي، محمد سعيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، البصرة ١٩٦٨م.
- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت: دار المعرفة (د.ت) ج ١.
- طعيمة، صابر، اليهود بين الدين والتاريخ، مصر ١٩٧٢ م.
- بيتي، إيلين، أزيلوا إسرائيل من الوجود، بيروت: ١٩٥٧.
- شلبي، أحمد، مقارنة الأديان اليهودية، القاهرة: ١٩٩٢ م.
- الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد كيلاني، بيروت دار صعب ١٩٨٦ م، ج ١.
- المدني، عبد العزيز، التاريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين، السعودية: ١٤١٨هـ.ق.
- رغدا، يوسف، معالم مكة والمدينة بين الماضي والحاضر، بيروت: ١٩٩٧ م.
- الحموي، معجم البلدان، مادة يثرب، ج ٥، لبنان: ١٣٨٨هـ.ق.
- جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٢ ـ ٤، لبنان: ١٣٨٠هـ.ق.
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، بيروت: ١٩٨٨.
- الأصفهاني، الأغاني، بيروت دار إحياء التراث العربي ١٩٩٤، ج ٢٢.

- أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، القاهرة: ١٩٥٧.
- ابن هشام، السيرة النبوية، حققه مصطفى السقا - إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي ١٩٩٣.
- اليعقوبي، كتاب مشهور باسم: تاريخ اليعقوبي - لابن واضح - دار صادر (د.ت).
- اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٨ م.
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت.٢٠٧هـ -) كتاب المغازي، ج١ مادوسن جونس، بيروت: مؤسسة الاعلامي ١٩٦٦.
- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار سويدان (د.ت) ج٢.
- الجاحظ، رسالة الرد على النصارى، (تحقيق عبد السلام هارون) نشر مكتبة الخانجي مصر: ١٣٨٤هـ.ق.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، طبعة دار صادر، لبنان: ١٣٨٥هـ.ق.
- الحلبي الشافعي، السيرة الحلبية، ج٢، ط سنة ١٣٢٠هـ.ق.
- صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام، بيروت: دار الجيل ١٩٧٥ ج٢.
- الديار بكري، تاريخ الخميس، ج١، مصر، ط سنة ١٣٨٣هـ.ق.
- المسعودي التنبيه والاشراف، مصر:ط سنة ١٣٥٧هـ.ق.
- ابن دحلان، السرية النبوية، ج١، ط دار المعرفة، لبنان.
- علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، تفسيره، ج١، لبنان: ١٣٨٧هـ.ق.
- ابن سعد كاتب الواقدي، الطبقات الكبرى، بيروت دار إحياء التراث العربي (د.ت) ج٢، ط ليدن.
- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج٢ المؤسسة العربية للطباعة والنشر، لبنان.
- الطبرسي، مجمع البيان، دار إحياء التراث العربي، لبنان: ١٣٧٩هـ.ق.
- الشوكاني، فتح القدير (تفسير) ج٢ نشر دار المعرفة، لبنان.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج١٨.
- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج٤، منشورات دار الفكر.

- العامري، بهجة المحافل، ج١ نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الحجاز.
- ابن حبان البستاني، الثقات ج١ الهند:١٣٩٧هـ ق.
- العيني، عمدة القارئ، ج١٧، نشر دار إحياء التراث ونشر دار الفكر، لبنان.
- البلاذري، فتوح البلدان، ج١، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، وط السعادة، مصر: ١٩٥٩.
- اليافعي، مرآة الجنان، ج١، مؤسسة الأعلمي لبنان: ١٣٩٠هـ ق.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مصر (بولاق): ١٣٠٠هـ ق.
- الذهبي، تاريخ الإسلام، مطبعة المدني، القاهرة.
- السيوطي، الدر المنثور، ج٦، ط سنة ١٣٧٧هـ ق.
- البخاري، صحيحه، ج٣، ط سنة: ١٣٠٩هـ ق.
- أبي زيد القيرواني، الجامع، المكتبة العتيقة بتونس، مؤسسة الرسالة، لبنان: ١٤٠٦هـ ق.
- مغلطاي، السيرة، مصر: ١٣٢٦هـ ق.
- السهيلي، الروض الأنف، ج٣ شركة الطباعة الفنية المتحدة، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة، مصر.
- القسطلاني، المواهب، اللدنية، ج١، دار المكتبة العلمية.
- المجلسي، محمد باقر (١١١١هـ)، البحار، ج ٢٠، ط سنة: ١٤٠٣هـ ق، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، وط إيران الحجري للمجلد الثامن، وط إيران: ١٣٨٥هـ ق.
- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط مصطفوي، المطبعة العلمية، إيران، قم، ج١.
- الإربلي، كشف الغمة، ج١، المطبعة العلمية، إيران: ١٣٨١هـ ق.
- الواحدي، أسباب النزول، مصر: ١٣٨٧هـ ق.
- البيهقي، دلائل النبوة، ط سنة ١٣٩٧هـ ق، وط دار الكتب العلمية، لبنان: ١٤٠٥هـ ق.
- ابن ماجة، سننه، ج٢، ط سنة ١٣٧٣هـ ق.

- الطبرسي، جوامع الجامع، إيران: ١٣٧٩هـ ق.
- مسلم، صحيحه، ج٥، مصر: ١٣٣٤هـ ق.
- الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١، لبنان.
- الزمخشري، الكشاف ج٤، لبنان.
- أبو داود، سننه، ج٣، نشر دار إحياء السنة النبوية.
- أبو نعيم، دلائل النبوة، لبنان: ١٣٩٧هـ ق.
- المقدسي، البدء والتاريخ، ج٤، ١٩٨٨ م.
- ابن الوردي، تاريخه، ج١، العراق، ١٣٨٩هـ ق.
- النويري، نهاية الأرب، ج١٧، مصر: ١٩٨٠ م.
- الصالحي الشامي، سبل الهدى والإرشاد، ج٥، مصر.
- ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج١، سوريا.
- الكلاعي، اكتفاء، ج٢، القاهرة: ١٣٨٧هـ ق.
- ابن طاووس، سعد السعود، إيران: ١٣٦٢هـ ش.
- أحمد بن حنبل، مسنده، ج ٢، مصر: ١٣١٣هـ ق.
- الشيرازي، السيد محمد، هؤلاء اليهود، بيروت مؤسسة الوفاء.

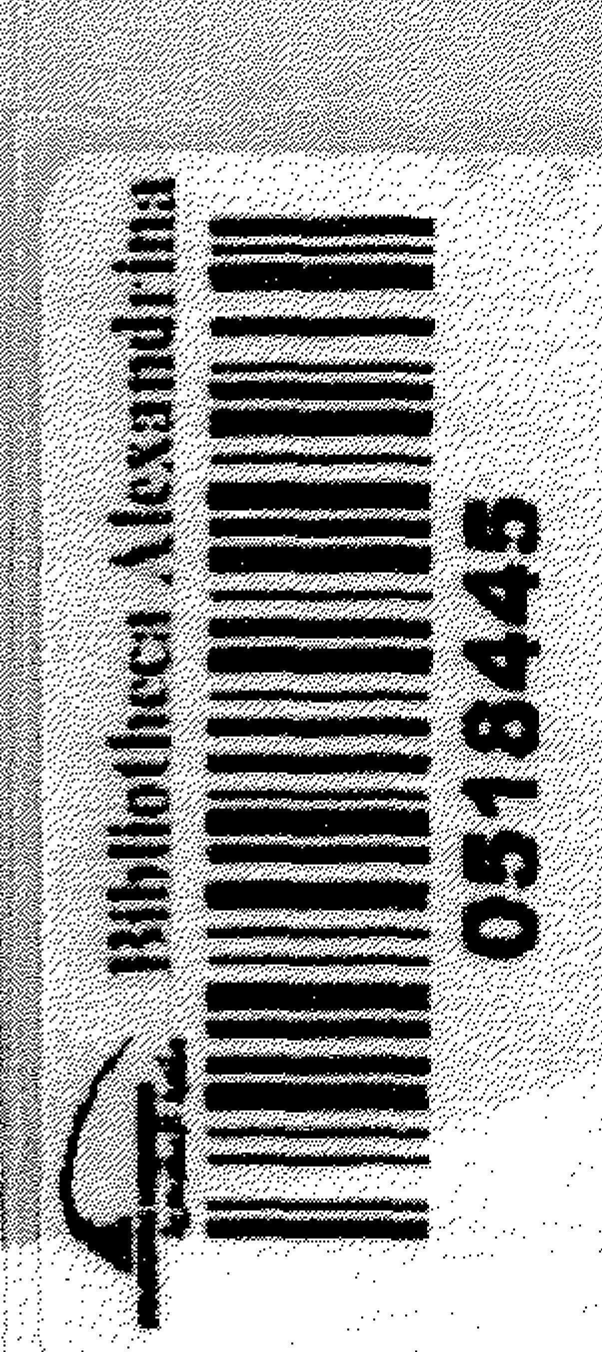
* * *

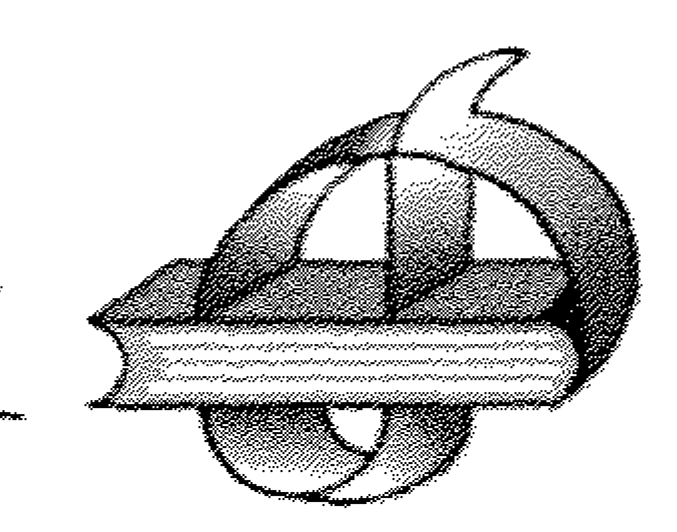
- Buber, Martin, israel, and the world, 1984. essays in a time of crisis, schocken books, new york 1948
- Soggin, J.A A History of Israel:london
- Ahlstron, G.W the History of Anacin Palestine, Sheffield
- W. J. Fischel " The Jews of Kurdistan a Hundred years - ago" N.Y1944.
- Hitti. P.K. " History of syria " London 1951 -
- Shechtman, J.B., on Wing of Eagles, New York 1960
- Goitein, S.D jews and arabs: New York, 1955
- Asher, the iteresary of Ralli Benjamin of tudela, London: 1840
- Ceatani Annali dell' Islam. (Milano 1905).

الفهرس

[illegible]هود الجزيرة العربية

[illegible]ر العلاقات الإسلامية اليهودية في عهد النبي ﷺ
[illegible]قراءة متأنية في الفكر الإسلامي السياسي





دار الهادي للطباعة والنشر والتوزي[illegible]

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٠١/٥٤١١٩٩
ص.ب : ٢٥/٢٨٦ - الغبيري - بيروت - لبنان
URL:htty://www.daralhadi.com
E-MAIL:daralhadi@daralhadi.com